

# المجلة

مجلة أسبوعية للثقافة والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
رئيس تحريرها المشرف

أحمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين  
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن المند ٢٠ مليا

الاعوانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٤٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ - ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

## مشقة التحصيل

الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

لنا إذن من تحصيل هذه اللغة والتوفر على درسها  
وقد حدثت شوق - رحمه الله - بهنا ، فقد كنا نلتقي في  
« الأخبار » ، وتذاكر على الرغم من رأي المروف في شجرة ،  
فقال لي : يا أخى لقد كنت في بداية عهدى بالشعر ، بعد أن عدت  
من أوربة ، ألحن وأخطى . فبسلقنى الناقدون بالسنة جديدة ،  
فالآن أنصح للشبان المبتدئين أن يرفوا لغتهم فيشكوننى  
ويسبوننى بذلك !

وقد قلت أيضاً لذلك الشاب المتذمر : إنى لا أرى الاقتصاد  
على درس اللغة العربية وآدابها ، فإنه لا يكفى طالب الأدب ،  
بل لا بد من التوفر على درس الآداب الأخرى ، ولا سيما الغربية  
منها . وحسب طالب الأدب لغة واحدة كالإنجليزية مثلاً ، فإن  
براعات الآداب الأخرى مترجمة إليها ، وقد كان العرب حصفين  
حين عنوانقل الفلسفة الإغريقية فأتست آفاقهم . ولما نستطيع  
في عصرنا هذا أن نقل خارجيات الغرب في الأدب والفلسفة ،  
فإنها شيء لا آخر له ، ولكن في وسعنا أن نطلع عليها ونلم بها  
إلماً كافياً بإحدى اللغات الغربية ، ونحن نلقح الشجر ليشمر ،  
ونظمه ليؤتينا ما هو أطيب ، وبجيتنا ما هو أشهى ، فلنلقح عقولنا  
ونظمها بما عند الغرب ، ليمود أوفر إنتاجاً وأحلى جنى . ونحن  
أدسيون ، والشجر نباتة ولكن سنة الحياة واحدة ، وقانونها  
لا يختلف ، وهو واحد في كل مظاهر الحياة على السواء ، وما

منذ ربع قرن تقريباً ، زارنى شاب في جريدة الأخبار وشكا  
إلى المرحوم شوق الشاعر وقال : إنه ذهب إليه يستشير فيما  
يحسن به أن يقرأ من الكتب العربية ، فأشار شوق عليه بدرس  
كتابين وجدهما الشاب من كتب النحو ووقعه اللغة ، فاعتقد أنه  
أضاع ماله ، وأن شوق أخطأ التوفيق . فقلت له : إن شوق  
لم يخطئ ، فإن النحو والصرف وما يجرى هذا الجرى لا بد منه ،  
ولا غنى عنه ، ولكن لغة قواعدهما وأصولهما وأحكامهما وفقهما ،  
والإحاطة بهذا كله واجبة إذا كنت تريد أن تتخذ هذه اللغة  
أداة للكتابة ، وإلا فكيف تكتبها وأنت لا تعرف قواعدهما ؟  
وبحسب أن الكتب العربية القديمة تحتاج إلى تفسير مطلبها ،  
ولكن التيسير ليس معناه الإلقاء ، فأعرف لنتك أولاً ، وأدرس  
أدبها ، ثم طالع بعد ذلك ما شئت من فنون الكتابة ، واعلم أنه  
لا مطمع لأحد في بلوغ مرتبة ملجوزة من مهاتب الأدب  
إلا بالاطلاع الواق ، ولما كانت لغتنا العربية ، فعلى أداتنا التي  
لا أداة لنا سواها ، ولا سبيل لنا إلى البيان إلا بها ، فلا مهرب

يصير به النبات أقوى وأزكى ، يصير بشله الحيوان — ونحن منه — أقدر على مساواة الحياة وأصلح لها وأنجب . وليس مما يصح في الأقدام أن نكون في القرن الشرين ، ونقنع بأن نبني بقول القرون الخالية . وأخلق بهذا الكسل أن يحيلنا خلقاً — متخلفاً من الأزمنة البائدة ، وأن يجعلنا غير صالحين للزمان التي خرجنا فيه وأنا أعرف أن في هذا مشقة عظيمة ، ولكن الثواب على قدرها ، والحياة نفسها لا متعة ولا زهرة ، بل كد وتضال وكفاح وما يبلغ المرء في دنياه غاية أو يدرك شيئاً إلا بالكفاح وعرق الجبين والتفقد ، فلما ذا نستثنى الأدب ونراه أهون شأنًا وأيسر مطلبًا من أن يحتاج إلى عناء ؟

وليعذرنى القراء الأفاضل إذا رأوني ألح على شباننا أن ينكفؤا على التحصيل ويجتهدوا فيه ويشقوا أيضاً ، فقد رأيت شباناً كثيرين في مصر أكبر ظني أن لهم ألداناً في غيرها يستقلون الطلب ويستطيعون مدته ويستكثرون الجهد الذي يقتضيه ويستخفون بالأمر كله ويحاولون أن يرقوا بغير سلم ، وأن يبلنوا الناية بدون أداة أو وسيلة ، فلا يأتون إلا بأغث الثنائه وأسفخ السخف ، ثم يروحون يتذمرون ويحارون بالشكوى ويزعمون أنهم مغبونون مغموطوا الأقدار ، وأن الشيوخ يأخذون عليهم متوجههم ويمترضون سييلهم حسداً ، إلى آخر هذا الهراء . وتقول لهم : إن كل علم وفن مثل الطب والهندسة والتصوير والموسيقى ، إلى آخر ذلك يحتاج إلى درس طويل وتحصيل واف ، فإن الملل وحدها لا تكفي ، والاستعداد بمجرد لا غناء له ، ما لم تؤازره المعرفة الصحيحة ، فلما ذا يعدون الأدب بدعائرونة مما يمكن الاستغناء فيه عن الآلة والأداة ؟ فلا يقتسمون ، أو على الأصح ، لا يستطيعون أن يروضوا أنفسهم ويوطنوها على احتمال المشقة

وأؤثر أن أكون صريحاً فأقول : إن هذا تطرأ لا يجنبني ، وكسل لا أراه بشيراً بخير ، فيحسن أن أورد طائفة من الأمثلة تبين أي مشقة احتملتنا ، وأي عناء صبرنا عليه ، وأي جهد تكلفناه في حياتنا وسد حياتنا قبل أن نتطلع إلى منازل الأدباء . وقبل ذلك أقول : إن مما تقضى وأغرائى رياضة نفسى على التشدد والتجهد

كلمة قراتها ومنظر رأيته ، فأما الكلمة ، فقول كويت في كتابه « نصيحة إلى الشبان » . إن على الشباب إذا أراد أن يكون رجلاً كاملاً لا نصف رجل أن يخلق ذقنه كل صباح بالماء البارد في الشتاء ، وجو أنجلترا من أقسى الأجواء . قتلتنفسى : إن مصر جوها معتدل ، فأنا أولى بهذه النصيحة وأقدر على العمل بها . وتوخيت بعد ذلك أن لا أستعمل إلا الماء البارد في كل حال — فنفنى هذا وقواني على احتمال المؤثرات الجوية وإن كان بدنى خرعاً . وأما النظر ، فكان شاباً من العمال راقداً على الحجارة وقدة الظهر وشمس السيف تضربه ، وكنت يومئذ في المابعة عشرة من عمرى ، قتلتنفسى : أنا أعلم لأن وصادق ليست عسوة يرش النعام ، ومجادق ليست من صنعة المعجم ، وهذا النام بنام على الحجارة ولا يتأفف ولا يشكو ولا تمنعه خشونة المنجع أن ينام ملء جفنيه ... أما والله لا اتخذت بعد اليوم شيئاً وثيراً ! وما زلت إلى اليوم أؤثر الخشن على الرقيق ، وليس في بيتى كرسي مريح أو فراش لين ، لأنى أخجل أن أكون مترفاً . ورضت نفسى على الجلد ، فاتفق في أول عهدي بدرس الأدب أن وقتت في يدى نسخة من ديوان « الشريف الرضى » مطبوعة في الهند ، ليس فيها بيت واحد يسلم من التعريف ، فاستطعت أن أفهم شيئاً ، وكنت أياأس ، ولكنى تشددت وأقبلت عليه أعلج تصحيحه ، وقضيت في ذلك قرابة عامين وأنا أوفق قليلاً وأخفق كثيراً ، حتى هداني الله إلى ديوانه للطبوع في بيروت ، وهو أسح وأسلم من الخطأ ، وإن كان لا يخلو منه ، فتشبهت واسترحت .

وحبب ابن الرومى إلى ما قرأته له مبعثراً في كتب شتى ، فطلبت ديوانه ، فلم أجد إلا مخطوطاً — أعوذ بالله منه — في دار الكتب المصرية ، وكان فيها مخطوطان آخران ، ولكنى لم أعط إلا أسوأ الثلاثة وشرها ، فاستضخته وعكفت عليه سنوات طويلة لا أجد أحاول التصحيح والفضبط ، فلم أبلغ من ذلك ما أريد ، ولكنى بذلت غاية ما يدخل في الوسع وكان من أول ما اقتنيت ، الأغاني طبع الساسى ، وهي نسخة

## في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب

الأستاذ محمد إسعاف الذشاشيبي

- ١٢ -

• ج ١٦ ص ١٩٨ :

وإذا بلوت طبعه قالاه يشرب وهو عذب  
وقصارى وسقى أنه فيما أحب كما أحب  
قلت : (قالاه يشرب وهو عذب) ليكون الضرب مرغلاً ،  
لأن الضرب في البيت الثاني لا يجيىء بالسكون - إن فرض  
أن (أحب وأحب) ماضيان - إلا من الصحيح ، فيختلف  
الضربان . والفعلان إنما هما هنا مضارعان : (فما أحب كما  
أحب) فالشاعر يصف حال صاحبه كما يراها هو ، ولا يقصد  
بإيشا كل معنى القائل : « كأنك قد خلقت كما تشاء » .

و (قصارى) في البيت هي (قصار<sup>(١)</sup>) لأجل الوزن ،  
واللفظتان بمعنى واحد ، ومثلها (قصرك وقصيرك) . وقد  
جاءت (قصار) في كلام مأثور مشهور مظم النسبة .

قال الزمخشري في شرح مقاماته : ومن توقيعات عبد الله بن  
طاهر فيما سمعته من أبي : « غرك عرك ، فصار قصار ذلك ذلك ،  
فأجش فأجش فملك ، فملك بهنا بهدا » .

وقال ابن خلكان في الوفيات : كتب إلى عضد الدولة  
أبو منصور أئتكن التركى متولى دمشق كتاباً مضمونه أن الشام  
قد سقا وصار في يدي ، وزال عنه حكم صاحب مصر ، وإن  
قويتى بالأموال والعدد حاربت القوم في مستقرهم . فكتب عضد  
الدولة جوابه هذه الكلمات وهي متشابهة في الخط لا تقرأ إلا بعد  
الشكل والنقط والضبط وهي (غرك الخ) ولقد أبدع فيها كل  
الإبداع .

وفي (التاج) : وروى عن علي (رضي الله عنه) أنه كتب  
إلى معاوية : (غرك الخ) وهي رسالة تصحيفية غريبة في بابها .

(١) يفتح أوله وضم . في التاج : أي جهلك وغابتك وآخر أمرك  
وما انصرفت عليه .

سنوات ، ولكن أي فاءت بي إلى السكينة وقالت لي : « ألت  
قد قرأتها ؟ انتهينا إذن ولا داعي للأسف » ! فجلت بعد ذلك  
أعزى نفسى بقول : إن فائدة القراءة كفاءة الطعام ، والرء  
يا كل ليصح يده ، ولو أنى تسيت اليوم ما أكلت في أمسى ،  
لما منع ذلك أن الفائدة قد حصلت ، وأن جسمى انتفع بما طعمت  
وكذلك العقل : يقرأ الرء ليستفيد علماً ويقوى مداركه وينمى  
مكانته ، ولا يمنع حصول الفائدة أنه نسي ما قرأ أو أن الكتاب  
غير موجود .

وحسبي هذه الأمثلة القليلة ، والحقيقة أننا أعطينا الحياة  
لنحيائها ، لا لنتم بها أو نسمد ، ومعنى أن نحيا أن نعمل ،  
ومؤدى العمل أن نكدح ونتم ، والأدب يطلب كسائر  
المطالب له وسائله ، فلا معنى عن العناية في سبيله .

أبراهيم هجر القادر المازني

عشوة بالخط ، فككت الأجزاء « ملازم » ، وجعلت أحل  
الملازم مع واحدة واحدة إلى دار الكتب في أوقلت فراغى ،  
وأراجع النصوص نصاً نصاً ، وبيتاً بيتاً ، وأدون التصحيح ،  
أو التكميلات على ورق أبيض أعدته لقلك ، وصرت ألصق  
الورق المكتوب بين الصفحات المطبوعة ، حتى إذا انتهيت من  
جزء جلده وانتقلت إلى ما يليه . وهكذا حتى أتمت الكتاب  
كله ، قصار ضمني حجمه الأصلي . وحدث لسوء حظي في أيام  
الحرب الماضية أن رقت حالى فجأة ، واحتجت إلى مال ، وأنا امرؤ  
ويتنى أمى - رحمه الله - على الاعتماد على النفس والاستثناء  
عن الناس ، وبغضت إلى الاستدانة وكل ضروب الاستمانة بالتبر  
فلم أجعل حيلة إلا أن أبيع ما اقتضيت من كتب ، ورأى بعضهم  
عندى نسخة الأغانى هذه ، فألحف في طلبها ، فأيت أن أبيعها ،  
فلم يزل يزيد في الثمن ويرقع به ، حتى أغراني ، وما كاد يخرج  
بها ، حتى طار عقلى ، وندمت أشد الندم ، فلها غمرة تعي سبع

\* ج ١ ص ٤٦ : وأطوف على مصنف فيهم يشقى الليل ،  
ويداوى لوعة الليل .

قلت : عندي أن الأصل : ( يشقى الليل ، ويروى الليل )  
أو يروى غلة الليل .

والليل العطشان ، والليل حرارة المطش مثل الغلة . في  
اللسان : النل والنلة والنل والنل كله شدة العطش قل  
أو كثر . رجل منلول وغيل ومثل بيتن الغلة .

\* ج ١ ص ٤٨ : ... والإخبارين .  
قلت : والأخبارين . في التاج : والأخبارى المؤرخ نسب  
للفظ الأخبار كالأخبارى والأنطلى وشبههما .

\* ج ١٢ ص ٧٧ :  
وذاك آخر عهد من أخيك إذا ما للزه ضُمَّتْهُ اللحد الخناشير  
« الواحد خنشير والجمع الخناشير ، ويقال الخناشيرة وهم الذين  
يتبعون الجنائزة .

قلت : الخناسير بالسين . في التاج في ( خسر وخسر ) :  
الخناسير ضماف الناس وصغارهم ، قال شيخنا : ووقع في شعر  
حريث بن جبلة العنزي : ( وذاك آخر عهد البيت ) قال أبو حاتم :  
الخناسير الذين يمشيهم الجنائزة ، ونقله البغدادى في شرح شواهد  
المنقى .

وفي اللسان : خناسر الناس صغارهم والخنسر التثيم . ولم  
يذكر في ( خسر ) إلا الخناشيرة والخناش : السفلة من الناس .  
وبيت ( الخناسير ) هو في أبيات رواها ياقوت في ( الإرشاد )  
وروى الحررى ستة منها في ( اللرة ) وذكر قصة لها :

قال عبيد بن شربة : صررت ذات يوم يقوم يدفنون ميتاً لهم ؛  
فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناى بالدموع فتمثلت بقول الشاعر :  
وبينا المرء في الأحياء منتبظ إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير  
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحى سرور<sup>(١)</sup>  
فقال لى رجل : أتعرف من يقول هذا الشعر ؟ قلت : لا .  
قال : إن قائله هذا الذى دفناه الساعة ، وأنت الغريب الذى يبكى  
عليه ، ولست تعرفه . وهذا الذى سار عن قبره هو أمسى الناس  
رحماً به وأسرهم بموته ...

(١) قال الحررى في اللرة : ويقولون : هو قرابتي والصواب أن  
يقال : ذو قرابتي كما قال الشاعر : يبكى الغريب الخ .

\* ج ١ ص ٤٨ : وكنت مع ذلك أقول للنفس ماعطلاً  
وللهمة مناضلاً : رب غيت غب البارقة ، ومنيت تحت الخافقة .  
وجاء في الشرح : الخافقة واحدة الخوافق ، وخوافق  
السماء : مهب الرياح الأربع .

قلت : الخافقة هنا هي الرايات أو الأعلام . في الأساس :  
وخفق العلم ، وأعلامهم تحفق وتحقق . وفي اللسان : وتسمى  
الأعلام الخوافق والخافقات . والمغيت هنا هو النيث وقت القتال .  
والبارقة السحابة ذات برق ، والبارقة السيوف على التشبيه بها  
ليياضها . وفي حديث عمار ( رضى الله عنه ) الجنة تحت البارقة  
أى تحت السيوف .

\* ج ١ ص ١٩٢ : قال ( جرير بن أحمد بن أبي دؤاد ) :  
كان إبراهيم ( بن العباس الصولى ) أسدق الناس لأبى فعتب على  
ابنه أبى الوليد في شيء ، فقال فيه أحسن قول : ذمه فدهح أباه .  
وما أحسن هذا من جهة جرير !

عفت مساوتبتد منك واضحة على عاسن نقاها أبوك لك  
لئن تقدمت أبناء الكرام به قد تقدم أباه الكرام بك  
قلت ( ذمه ومدح أباه ) أى جمع بين الأمرين .

و ( عفت مساوى تبنت منك ، واضحة ) برفع واضحة وإن  
جاز نصبها . وقد خفف مساوى وقدر .

و ( نقاها ) هى ( أبقاها ) وعجز البيت الثانى هو ( لقد تقدم  
أباه اللثام بك ) وهنا التكتة ، وهنا التم البليغ .

والقاضى أحمد بن أبى دؤاد هو القاضى يقول حبيب فيه :  
لقد أنت مساوى كل دهر عاسن أحمد بن أبى دؤاد  
ولا ذكر الصفدى في كتابه ( النيث الذى انسجم في شرح  
لامية المعجم<sup>(١)</sup> ) « الذين رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم  
من نالها » قال فى أحمد : « القاضى أحمد بن أبى دؤاد في المروءة  
وحسن التقاضى » .

وقال ابن خلكان في سيرته في كتابه : « كان معروفاً  
بالمروءة والعصية » يعنى العصية العربية .

\* ج ١٤ ص ٢١٧ : ... فألب الأولياء على ابن عباد حتى  
كثر الشغب ، وعظم الخطب ...

قلت : ( الشغب ) بالسكين لأجل الخطب . والمجانسة بين  
القرائن في السجع مطلوبة . والفتح لغة وليس بخطأ كما قال

الشرعية حتمت البياضة « البارسية » الفارسية القديمة على الفارسي عند نهوضه من نومه صباحاً وجوب غسل وجهه وعينه ويديه وقدميه ثلاث مرات . ويستعمل لذلك مادة « Kuhlurim » ومضى مادة طاهرة مقدسة تستخرج من عصير الأثمار وتستعمل بعد الفصل بالماء<sup>(٢)</sup> . ويجوز استخدام الحشائش الجافة لمسح أجزاء الجسم . أما الحشائش المبتلة فلا يجوز استخدامها لأن الماء طاهر ومقدس لا يجوز تنجيسه<sup>(٣)</sup> .

وإذا ما ابتدأ الإنسان بغسل وجهه وعينه ويديه وقدميه ثم أعوزه الماء وجب عليه « التيمم » بالرمل فيمسح بالرمل تلك الأجزاء لأن الرمل مادة طاهرة مطهرة ما لم تدرن<sup>(٤)</sup> . وقد ورد مثل ذلك في الشريعة الاسرائيلية ، فعلى اليهودي إذا ما استيقظ في الصباح أن يغسل وجهه وعينه ويديه ، وإذا ما أعوزه الماء جاز له التيمم أيضاً<sup>(٥)</sup> .

(٢) Scheffelowitz The old Persian Rel p, 129

(٣) Saddar c. 50 Vend. 21 p, 129

(٤) Saddar C. 50. 74 Vend 18, 21

(٥) Schulkan cAruk, Orab Hajjiw, 4, 30a, 3, 592

ومحرمه ، وله فيه صنعة . ومن عمله فتدليل بالشهد بمقابر قریش مربع غاية في حسنه .

وجاء في الشرح : ( لم تضطرم ) في الأصل تضطرب . قلت : ( لم الاضطرام ) الاشتغال ، و ( الاضطراب ) التحرك والاختلال ، وهنا أقرب إلى المراد . وربما كان الأصل ( لم تنفض أسنانه ) ونفضت الثنية أو السن : تحركت واضطربت .

كان الناشئ ذا هزل ومجون في المناطرات وغيرها ومن مجونه - كما روى ياقوت - « حكايته الشهورة مع الأشعري التي ناظره فصقمه فقال ( الأشعري ) ما هذا يا أبا الحسين ؟ فقال : هذا فعل الله بك ، فلم تنفض مني ؟ فقال : ما فعله غيرك ، وهذا سوء أدب وخرج عن المناظرة . فقال : ناقضت . إن أمت على مذهبك فهو من فعل الله ، وإن انتقلت فخذ الموضع . فاقطع المجلس بالضحك وصارت نادرة » .

« قال عبيد الله القفير إليه تعالى مؤلف هذا الكتاب : لو كان الأشعري ماهراً لقام إليه وصفه أشد من تلك ثم يقول له : صدقت . تلك من فعل الله بي ، وهذه من فعل الله بك ، فتصير النادرة عليه لا له » .

## الطهارة والوضوء

للدكتور جواد علي

الطهارة وكن من أركان الصلاة عند جميع الأديان . وتشمل طهارة الجسم ، وطهارة الثياب ، وطهارة الأرض . فاشتترط البياضة الرومانية على المصلي لبس الملابس النظيفة « فيلبس المستنثت ألبسة نظيفة لا وقر في الأذهان من أن الأبواب يرغبون في النظافة »<sup>(١)</sup> . واشتترطت مثل هذه الشروط سائر الأديان القديمة مثل البياضة البابلية والمصرية والهندية . ويلبب النسل دوراً هاماً في طهارة الجسد وفي بعض الطقوس ولا سيما في البياضات التي نشأت على مقربة من الماء<sup>(٢)</sup> .

وجعل النسل العام أو النسل الموضعي كواجب من الواجبات

(١) شارل سنيروس تاريخ الحضارة ترجمة محمد كرد علي سنة ١٩٠٨

ص ١٢٧

(٢) راجع Hastings Eney of Art and Reli وكتب تاريخ

الأديان .

الحريري في ( الدرر ) وليس هو من كلام العامة كما ذكر ابن الأثير في النهاية .

\* ج ٣ ص ١٣١ : ... فقال ( أبو العلاء ) لي ( للتبريزي ) قم وكله ، قلت : حتى أتم السياق قال : قم وانتظر لك .

وجاء في الشرح : السياق في الأصل : السياق :

قلت : في ( الصبح للنبي عن حبيبة النبي ) : ( حتى أتم

السبق وأنا أنتظرك ) وضبط اللفظة - كما جاءت في الصبح -

الفضلاء<sup>(١)</sup> الذين جموا وحققوا كتاب ( تعريف القضاة بأبي

العلاء ) وقالوا في الشرح : السبق بالتحريك يراد به الدرس

وهذه الكلمة لم ترد في المعاجم بهذا المعنى ، وشاعت في الفارسية

بمعنى الدرس قللاً عن العربية .

\* ج ١٣ ص ٢٨٥ : كان ( علي بن عبد الله بن وصيف

الناشي ) شيخاً طويلاً جسيماً ، عظيم الخلق ، عريض الألواح ،

موثق القوة ، جهوري الصوت ، عمر نيفاً وتسعين سنة لم تضطرم

أسنانه ، ولا قلغ سناً منها ولا من أضراسه . وكان يميل الصفرة

(١) الأساقفة : طه حنين ، مصطفى القا ، عبد الرحيم محمود ،

عبد السلام هارون ، إبراهيم الأيلري ، حامد عبد المجيد .

الطهارة في الصلاة أهملت فيما بعد وسقطت عملياً من الاستعمال<sup>(١)</sup>. سقطت هذه قبل ظهور الرسول زمن طويل . وأغلب الظن أنها تركت بعد سقوط الهيكل بأيدي الرومان إذ تسمع اليهود منذ ذلك الحين في كثير من أحكام دينهم الصعبة . وإن كان المستشرق اليهودي المرحوم « ميتوخ » يؤكد أن يهود جزيرة العرب ويهود الحبشة ظلوا مخلصين لهذه التعاليم مطيعين لها حتى زمن ظهور الرسول<sup>(٢)</sup> وعرضه من ذلك على ما يظهر هو البرهنة على أن النبي كان قد اقتبس من تعاليم هؤلاء اليهود . وقد عرفنا رأي هذا المستشرق في الموضوع .

ويقول هذا المستشرق أيضاً « وأما الشروط التي نصت على أن الصلاة يجب ألا تقام في عمل نجس ، أو في عمل قذر ، وأن اللباس يجب أن تكون وفقاً للأحكام التي حددتها والمقاييس التي وضعتها بحيث لا يجوز ظهور جزء من الجسم الذي يعتبر في حدود المورة فإن المسلمين في هذا الباب هم كاليهود تماماً »<sup>(٣)</sup>.

أمر القرآن بالوضوء وقد ورد ذلك الأمر في سورة المائدة<sup>(٤)</sup> وسورة المائدة من السور المدنية إلا الآية الثالثة فلها نزلت بعرفة في حجة الوداع . ومعنى هذا أن الأمر بالوضوء إنما كان بعد هجرة الرسول إلى المدينة . أي أن الوضوء لم يكن مفروضاً بمكة ؛ وهذا ما يتعارض مع الأحاديث المعروفة والأخبار الكثيرة التي تنص على أن الوضوء قد فرض مع الصلاة .

في كتب السير « أن الصلاة حين اقترفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء جبريل وهو بأعلى مكة فنهز له بمقبة في ناحية الوادي فأنفجرت منه عين فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ثم انصرف جبريل ... »<sup>(٥)</sup> وهو خبر مشهود .

(١) Cohen Everyman's Talmud p, 22 Intr mittwoch.

p, 14 Brakhoth, 3, 4. O'mara, 21 b.

(٢) mittwoch p, 14

(٣) mischna, Be'rabboth, 3, 5 mittwoch, p, 15

(٤) سورة المائدة آية ٦

(٥) راجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٠٠ البيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠١

لا نجد هنا الخبر في الطبقات لابن سعد ج ١ ص ١٢٨ .

ويتعدى إمره بالنسل عند « الفرس » باليد اليمنى وبالنصف الأيمن من الجسم دائماً . وإذا أراد لبس خذائه بدأ بالرجل اليمنى ونجد مثل هذه التعاليم عند اليهود أيضاً<sup>(١)</sup>.

وتتناول الطهارة طهارة الجسم من الأدران وطهارة اللباس وطهارة الأرض أو الموضع الذي يصلى عليه المؤمن . ويجب أن يتم ذلك قبل الشروع في الصلاة وإلا عدت الصلاة شريعاً باطلة . وتختلف قواعد الطهارة طبعاً باختلاف الأديان وباختلاف وجهات نظر الشعوب . إلا أنها تتفق عموماً في أساس الفكرة وهي فساد أية صلاة إذا كان المصلي على نجاسة . ولذلك وجب على المصلي إزالة كل أثر من آثار النجاسات .

ونجد مثل ذلك في الشريعة الإسلامية ، فالطهارة في الإسلام شرط مبدئي من شروط صحة الصلاة . وعلى المسلم إزالة كل أثر من آثار النجاسة . عليه النسل إن كان ذلك واجباً عليه . وعادة النسل من الجنابة عادة كانت معروفة في الجاهلية وقد أقرها الإسلام . وعليه فضلاً عن ذلك أن يتوضأ قبل البدء بالصلاة — والوضوء ضرب من ضروب الطهارة — وإلا لن تصح له صلاة .

وقد نص القرآن الكريم على كيفية الوضوء والتميم . وفصلت كتب الفقه ذلك تفصيلاً . وببحث بحثاً مستفيضاً في الماء والفسل والنجاسات . وقد توسعت الكتب في هذا الباب وتفننت كلها تقدم المسلمون في الحضارة وأمعنوا في المدينة . وتكاد تقتارب أفكار اليهود بالنسبة إلى الطهارة والنجاسة مع أفكار المسلمين تمام التقارب . على أن اليهود وإن تساهلوا فيما بعد في الشروط التي تجب في المصلي بالنسبة إلى الطهارة ، وفي كثير من القيود الثقيلة التي كانت عندهم في عهودهم الأولى . غير أن كتبهم الدينية كانت قد امتلأت بهذه القيود . وفي « المشنا »<sup>(٢)</sup> وهو الكتاب الجامع لأحكام اليهود ومعظم فقههم والفسر لكثير من قواعد التوراة « Tarah » وتعاليم الملمين « Tannaim » . والذي بدأ به « هيلل — Hillel » اليهودي البايلي فصول طويلة عن شرائط

(١) Scheftelowitz p, 129 The old Persi Reli and The Isra Rel.

(٢) في المشنا « mischna » راجع Cohen, Everyman's Talmud Introduction p, 22.



ومعنى هذا أيضاً أن الوضوء لم يكن مفروضاً مع الصلاة مباشرة ، بل كان النبي يقتسل أولاً لكل صلاة ، ثم خفف ذلك عنه بالوضوء . وقد كان هذا الفعل بمثابة طهارة عامة للجسم قبل التروع في الصلاة . وكان عيرب الجاهلية يفعلون ذلك قبل الطواف بالبيت <sup>(١)</sup> . ثم نسخ الفعل بالوضوء . والظاهر أن هذا النسخ كان بالمدينة ، فأصبح النبي والمسلمون يتوضؤون من حين نزول الآية بدل الفعل .

• وعند ما نزلت الآية كان النبي وأصحابه يتوضؤون لكل صلاة وقد شق عليهم ذلك فيما بعد ، فلما كان يوم الفتح صلى الرسول الصلوات الخمس بوضوء واحد « فقال سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه : فعلت شيئاً لم تكن تفعله ، فقال عمداً فمكت يا عمر للإشارة إلى جواز الاختصار على وضوء واحد للصلوات الخمس » <sup>(٢)</sup> . ثم خفف الوضوء بالتييم عند فقدان الماء . وقد نص على ذلك القرآن الكريم .. فترى من ذلك إذا أن الأحكام الإسلامية كانت تسير من عسر إلى يسر ، ومن صعب إلى سهل ، حسب مقتضيات الظروف والأحوال .

وتشبه قضية الوضوء قضية قراءة سورة الفاتحة في الصلاة . إذ الفاتحة في الصلاة ركن من أركان الصلاة على أكثر الأحوال . لحديث عبادة بن الصامت « لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب » <sup>(٣)</sup> . ولحديث أبي هريرة « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ... » <sup>(٤)</sup> . وما دامت الفاتحة ركناً من أركان الصلاة فقد وجب أن يكون نزول الفاتحة مع نزول الأمر بالصلاة في يوم واحد . والحال أن نزول السورة كان بعد ذلك بمدة .

فسورة الفاتحة مكية وقيل مدنية <sup>(٥)</sup> . وقيل مكية مدنية ، وعلى كل فهي سورة متأخرة عن الصلاة . ولا يعقل أبداً أن تكون ركناً من أركان الصلاة قبل عهد النزول ، إننا فالفاتحة ركن منذ

ويقيم من هذا الخبر أن الأمر بالوضوء إنما كان بمكة مع الصلاة . في حين أن النص القرآني وهو نص مدني بأمر بالصلاة في المدينة بعد هجرة الرسول . وهذا يعني أن الأمر بالوضوء لم يكن قد نزل إلا بعد نزول الأمر بالصلاة بزمان . ويترتب على ذلك أن صلاة الرسول من حين أمر بالصلاة إلى حين نزول الآية كانت بغير وضوء .

وجاء في السيرة الحلبية « ومشروعية الوضوء كانت مع مشروعية الصلاة التي هي غير الخمس وأن ذلك كان يوم نزول جبريل بأمر ، وهو مخالف لقول ابن حزم لم يشرع الوضوء إلا بالمدينة . ومما ردد ما قاله ابن حزم نقل ابن عبد البر اتفاق أهل السير على أنه لم يصل قط إلا بوضوء » <sup>(٦)</sup>

والذي يفهم من قول صاحب السيرة أن العالم ابن حزم كان يعتقد بأن فرض الوضوء كان بالمدينة لما يعرف من أن الآية مدنية . وقد انتبه العلماء إلى ذلك . وبخيل إلى أن ذلك كان متأخراً . فحاول أكثرهم التمسك بالخبر والتوفيق بينه وبين الآية ومحاولوا في التأويل والفرضيات ليبرهنوا على أن صلاة الرسول الأولى لم تكن بغير وضوء . فقالوا « إنه لم يشرع وجوباً إلا في المدينة وإنه كان قبل ذلك مندوباً وهو قول بعض المالكية . أى أنه مكى بالقرض مدني بالتلاوة » <sup>(٧)</sup> واعتمدوا في تأويلاتهم هذه على بعض الأخبار النامضة وهي في حد ذاتها أخبار لا قيمة لها بالنظر إلى نص القرآن .

قالوا بأن « مشروعية الوضوء كانت مع مشروعية الصلاة التي هي غير الخمس وإن ذلك كان يوم نزول جبريل بأمر » <sup>(٨)</sup> ثم تراهم يقولون « بأن الفعل كان واجباً عليه لكل صلاة فنسخ بالحدث الأمر تخفيفاً فصار الوضوء ثم نسخ الوضوء لكل صلاة » <sup>(٩)</sup> . وهذا ما يتعارض مع قولهم السابق بالطبع إذ يعنى هذا أن النبي كان يقتسل أولاً للوضوء ولما شق عليه ذلك خفف عنه بالوضوء بالنسبة للحدث المستمر . وظل الفعل مشروعاً بالنسبة للحدث الأكبر فقط وعلى المسلمين حتى اليوم .

(١) راجع لمهوزن عن بقايا الوثبة العربية والكتب الباقية عن عرب ما قبل الإسلام .

(٢) الحلية ج ١ - ٢٥١ .

(٣) الخازن ج ١ - ٢٠ .

(٤) تفسير الخازن ج ١ - ٢٠ .

(٥) الخازن ج ١ - ١٢ .

(١) السيرة الحلبية ج ١ - ٢٥٢ .

(٢) السيرة الحلبية ج ١ - ٢٥٢ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) راجع السيرة الحلبية ج ١ - ٢٥٢ .

## القضاء في الاسلام

قطعة ثالثة من محاضرة أقيمت في دمشق ولم ننشر

للاستاذ علي الطنطاوي

—————

ولقد اشترط القانون اليوم فيمن يولى القضاء سنًا معينة لا بد من إكمالها وامتحانًا مسلكيًا . والشرع لم يشترط إلا البلوغ . ولا قلنا المأمون يحيى بن أكرم قضاء البصرة وكان ابن ثمان عشرة تكلم بعض الناس فيه لحداثة سنه ، فكتب اليه المأمون : كم سن القاضي ؟ فكتب في جوابه : أنا على سن عتاب بن أسيد لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة قاضيًا وأميرًا . فسكت عنه المأمون وأعجبه .

والامتحان السلبي معروف عندنا ، وقد دعا عمر قاضيًا كان في الشام حديث السن فامتنعته بالعلم فقال له : بم تقضى ؟ قال : أقضى بما في كتاب الله . قال : فان لم تجد ؟ قال : بما قضى به

عهد الزول . وكذلك كان الرضوء فأهل الفقهاء ذلك والمحدثون ، وتصور الناس أن ذلك كان منذ أقدم عهود الصلوة . وهتالك إشارة وردت في الاثنان هي « أن جبريل حين حولت القبلة أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة ركن في الصلاة »<sup>(١)</sup> . ونحن نعرف أن تحويل القبلة كان بالمدينة بعد الهجرة بستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا<sup>(٢)</sup> . فإذا صح قول صاحب الاثنان وجب أن يكون ذلك في المدينة وبعد الهجرة كما رأيت . ولذلك فلا عبرة لكلام من قال « لم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة بغير فاتحة »<sup>(٣)</sup> . ترى من ذلك أن كثيرا من الأحكام المعروفة لم يفحص حتى الآن فحفا تاريخيا . والحق « إن الإسلام كان كلما ازفاد ظهورا وتمكن في القلوب ازدادت الفرائض وتتابعت إلى أن تمت بأخرآية من آيات القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو فوق كل مرجع آخر في الإسلام .

جواب علي

(١) المالية ج ١ ص ٢٥٥

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦٠

(٣) المالية ج ١ ص ٢٥٥

رسول الله . قال : فان لم تجد ؟ قال : بما قضى به أبو بكر وعمر . قال : فان لم تجد ؟ قال : اجتهد رأي . فقال له عمر : أنت قاضيها . وردده إلى عمله . وحديث عمرو بن العاص لما جريه النبي صلى الله عليه وسلم واختبره عمليا ، معروف معلوم

والقاضي الشرعي اليوم لا يجرب ولا يدرب ، كما يدرب ( حاكم الصلح ) إذ يدين عضواً ملازماً ثم يمتح حاكماً . بل إنه يستقل بالحكم من أول يوم . وهذا مما ينبغي النظر فيه . وليس يجوز أن يفرد القاضي بالحكم حتى يتعربس به ويتمرن عليه مدة في محكمة من المحاكم ، فإذا استأنس الفتى رشده ولسى مقدرة على القضاء ، ورآه أهلاً له ، قيل له ، اعل قوس المحكمة ، وتوكل على الله ، وكذلك في مصر يصنعون ، على أن القضاء الشرعي فيها ( إلا الجزئي منه ) قضاء جماعة ، فكيف وهو عندنا قضاء فرد ، وإن وظائف القاضي من قضائنا في أنأى محاكم الجزيرة أو حوران وسلطانه كسلطان قاضي دمشق أو حلب ينظر نظره في كل دعوى ، ويحكم حكمه في كل خلاف . والقضاء في مصر على درجتين يؤمن منهما الغلط ، وهو عندنا على درجة واحدة ، ما فوق القاضي إلا عكمة التمييز ( النقض والإيرام ) وهي تقي بالشكل لا بالأصل وتنقض حكم القاضي ولكنها لا تحكم في الدعوى .

\*\*\*

هذا وإمام المسلمين ما يور بأن لا يقلد أحدا شيئاً من عمل المسلمين إلا إذا علم صلاحه له . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قلد رجلاً عملاً وفي رعيته من هو أولى به منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين » .

وكان الخليفة هو الذي يقلد القضاء ، ورعا قلده الوزير أو الأمير إذا ولاه الخليفة وصرح به في عهده ، لأن القضاء في الأصل من حق الخليفة ، وقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم واستقضى ، وقضى الخلفاء الراشدون من بعده واستقضوا . وفي تاريخنا أسلوب بارع لتقليد القضاء ، هو أن يدعو الخليفة أو الأمير مشيخة العلماء وكبار القوم ويأمرهم أن يعرضوا عليه أسماء من يصلح للقضاء ، ويذكروا لكل عيوبه ومزاياه ، ثم يختار من تجمع عليه الكلمة أو من يظهر فضله على غيره ظهوراً لا خفاء فيه ، وأكثر ما رأيت هذا للأسلوب في قضاة مصر . ولقد كان تقلد عيسى بن المنكدر



وكانت وظيفة القاضي (أى مرتبه) أجزل الوظائف ورزقه أكثر الأرزاق ، تقي العهد الذى كان عمريليس فيه التوب الرقع ويقنع بالزيت ، وكان على تجزئه قصعة ثريد ، كان مرتب شريح القاضي خمسمائة درهم فى الشهر ، وكان مرتب ابن حجية الأكبر كما ذكره الكندى ، ألف دينار فى السنة فلا يحول عليه الحول وعنده منها شيء ، بل كان يتفقها على أهله وإخوانه وفى وجوده البر . وكان مرتب ابن لهيعة ثلاثين ديناراً فى الشهر . وأجرى مثل ذلك على القاضي المفضل به فضالة . وجعل عبد الله بن طاهر راتب القاضي عيسى بن المنكدر أربعة آلاف درهم فى الشهر ، وراتب الفضل بن غانم مائة وثمانية وستين ديناراً فى كل شهر ، وكان راتب أبى عبيد القاضى الفقيه مائة وعشرين ديناراً فى الشهر ، وكان يقول : مالى ولل قضاء ؟ لو اقتصرت على الوراقة ما كان خطى بالردى !

وقد نقل الكندى فى تاريخه صورة براءة (سند راتب) من أيام مروان بن محمد فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم من عيسى بن أبى عطاء إلى خزان بيت المال . فاعطوا عبد الرحمن بن سالم القاضي رزقه لشهر ربيع الأول وربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين ومائة عشرين ديناراً واكتبوا بذلك البراءة . وكتب يوم الأربعاء خلت من ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين ومائة) . وهى تبين لنا أن الرواتب قد تدفع سلفاً (وهى كذلك اليوم فى بلاد الشام) وتكشف عن ناحية من الأسلوب المالى لدفع المرتبات .

ينظر خلفاء المسلمين بنور الله فدفعوا إلى القضاء المال الوفير ، والرزق الكثير ، نجف نفوسهم عن حرامه اكتفاء بحلاله ، وذلك ما تفعله أرق الأمم فى زماننا وأقومها سيرة فى القضاء ، على أنهم لو تركوا قضائنا إلى دينهم لوزعهم ، ولو خلوا بينهم وبين نفوسهم لقمعوا بخوف الله ، وأزاحوا شهوتها بانتظار جنته وخشية ناره . ولقد كانوا على هذا الرتب الكثير ، والمطاء الجزل ، أولى تشفى وزهد ، ينفقون المال يشترى به الجنة ثم يعودون إلى زهادتهم وقناعتهم : حدث إبراهيم بن نسيط قال : دخلت على القاضي ابن حجية الأصغر (وكان قد تندى) فقال : أنتفى ؟ قلت : نعم . قال : أعيدي عليه الفداء بإجارية . فأتت بمدس بارد على طبق خوص وكلمك وماء . فقال : ابلل وكل ، فلم تتركنا الحقوق نشبع من الخبز !

وأبى الذكر محمد بن يحيى بالانتخاب ، ولما كان وفد مصر فى العراق عند المنصور وجاءه نعى قاضى مصر ، قال لهم : أعظم الله أجركم فى قاضيتكم أبى خزيمة . ثم التفت إلى الربيع فقال له : أبنتنا لأهل مصر قاضياً ، فقال له ابن حديج (وكان فى الوفد) : ما أردت بنا يا أمير المؤمنين ؟ ! أردت أن تشهرنا فى الأمصار بأن بلدنا ليس فيه من يصلح لقضائنا حتى تولى علينا من غيرنا . قال المنصور فتم رجلاً . فقال : أبو معدان اليحصبي . فقال : إنه لخيار ولكن به صمم ، ولا يصلح الأهم للقضاء . قال : فعبد الله بن لهيعة . فقال : فابن لهيعة .

انظروا أيها السادة إلى معرفة المنصور بأهل العلم من رعيته على بعد ما بين العراق ومصر ، ورجوعه عن أمره الذى أمر به الربيع لما بدا له الحق فيما قال ابن حديج . واختياره الصالح للعمل بعد الاستشارة والسؤال . وتوليته إياه القضاء من غير طلب له ولا سعى منه إليه . ولولا حق المجاملة وإنى ربما نشرت هذه المحاضرة فى الرسالة ، لقلت انظروا إلى حب أهل مصر بلباسهم وقديم عصبيتهم له !

\*\*\*

ونص الحنفية على أنه يجوز تقلد القضاء من السلطان السادل والمجاور ، وإنما يجوز تقلد القضاء من السلطان المجاور إذا كان يمكنه من القضاء بحق ولا يخوض فى قضايا بشر ولا يتداخل فى أحكامه ، ويجوز التقلد من أهل البنى كل ذلك لأن القضاء فريضة محكمة والقاضى إذا حكم بالحق فقد أقام الفريضة ، وضرر تقلده من السلطان المجاور ، أو الناصب الباغى لا يمدل ضرر تعطيل القضاء وترك أمور الناس فوضى !

وكان أبو حنيفة يرى ولاية القاضى سنة واحدة يعزل بعدها ليعود إلى الاشتغال بالسلم فلا ينسأ ، وكأن أباً حنيفة ينظر إلى ما وراء القرون فيرى هذا الزمان الذى فيه العلماء ينصرفون عن العلم إذا ولوا الولايات فكيف وقد كثرت ما يتولاها الجاهلون ... وكان طلب الرجل العمل قادحاً فى صلاحه ولم يكن الخلفاء يولون الأعمال طالها . كان ذلك والإسلام لإسلام ؟ والناس ناس ، فرجة الله على أولئك الناس .

\*\*\*

فقال له : أين جوائزي ؟ وكان يسله كل سنة بألف دينار ، فقال : هي على حلقها ، هناك ، فظفروا فإذا هي ملقاة بأكياسها في دهليز منزله . فبعث أحمد قبضها .

\*\*\*

على أن التزم بالترم . وإذا كثرت مرتبات القضاة فلقد كثرت تكاليفهم وازدادت الواجبات عليهم ، وإذا كان الشرف اليوم على أن الموظف إذا قام بعمله كان حراً في نفسه ووقته . وهو لعمري الفضيلة عرف أشبه بالنكر ، وإذا كان القانون اليوم لا ( يكاد ) يؤخذ قاضياً على فسوق في نفسه أو عصيان لربه ما لم يتصل بعمله ، فلقد كان القاضي يؤخذ على الصنيرة والكبيرة وتطلب منه أخلاق الملائكة ، وشمال الصديقين ، قد بويت في ذلك الأبواب ، وسنت فيه الكتب ، وشاع واشهر ، وأغنى الخبر فيه عن الخبر ، ولم يبق للكلام فيه مجال ، ولا لقائل مقال . وإلى لأسرد طائفة من ذلك على سبيل التمثيل عليها ، والإشارة إليها ، لا أريد التعلق بها بالمحاكمة وأصولها غسياتي الكلام في ذلك ، ولكن أريد شمائل القاضي وآدابه في نفسه ، وملاكها استعمار التقوى ، وإدامة الرقابة لله عز وجل . وقد امتحن على رضى الله عنه قاضياً فقال له : بيم صلاح هذا الأمر ؟ قال : بالورع . قال : فقيم فساد ؟ قال : بالطمع . قال : حتى لك أن تقضى . ونصوا على أن من آكد الواجبات على القاضي ألا يحفل بالناس ، ولا تأخذ لومة من لائم ، وأن يقيم الحق ، ولو أغضب الحق أقواماً . قيل لشریح : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت وشطر الناس على غضبان .

وهذه يا أيها السادة منزلة أقدام القضاة ، ولا سيما في أيامنا ، لأن القاضي اليوم لا يدم في كل قضية شفاعاً ووساطة ، فإذا أمضى الحق لم يحفل بالشفاعات ولا الوساطات ، لم يخجل من أعداء يشون به إلى أولى أمره ، ويسودون ما بينهم وبينه ، فيسوء رأيهم فيه ، ويطول عتيتهم عليه ، ويؤخرون ترفيعه ، وربما احتالوا على قانون حصانة القاضي فنقلوه إلى مكان سحيق ، لأن الشرف الحكومي اليوم أن الموظف الصالح هو القى بألف ويؤلف ، ويرضى عنه من حوله ، ولا تتوز عليه ثائرة ، ولا تضح ضجة . وهل ينال ذلك قاض تزيه لا يعرف من الطرق إلا الصراط المستقيم . وليس له

وأي حقوق هي بإسادة ؟! حقوق الله ، حقوق الشرف والنبل والكرم . حقوق المسلمين . ابلل وكل يا إبراهيم ! هذه امعري أعظم وأجل من موائد الملوك :

واسموا نعمة القصة تملوا ما هذه الحقوق ؟ قال : وأناه رجل يسأل حاجة . فقال : ليرجع . وسأل عنه وحقق عن فقره ، فلما عرف ناقته . أعطاه ثمانية عشر ديناراً .

هذه هي التي تركته لا يشبع الخبز !

ولقد كانوا يرمون الترامات في أموالهم : كان القاضي أبو زرعة كثير الشفقة رقيق القلب ، يفرم عن الفقراء والستورين إذا أفلسوا ، حتى كان بعضهم إذا أراد أن يتكسب أخذ بيد رفيقه فادعى عليه عند القاضي ، فيعترف ويبيكي ويدعى أنه لا يقدر على وفائه فيفرم عنه . وحصلت لبعض الشاميين إضاعة ( والشامى ولا مؤاخذه بصير بإصطيد الدرام ) قتال لبعض أصدقائه : فدفنى إلى القاضي فلمله يعطيك عنى شيئاً أنتفع به ، ففعل وقال : أيد الله القاضي : لى على هذا الرجل ستون درهماً . قال : ما تقول ؟ فأقر . فقال : أعطه حقه . فبكى وقال : ما مئى شيء ، فقال للمدعى : إن رأيت أن تنظره . قال : لا . قال : فصالحه . قال : لا . قال : فما الذى تريد ؟ قال : السجن . قال : لا تفعل . وأدخل يده تحت مصلاه فأخرج دراهم فعد منها ستين درهماً فدفنها إلى الرجل .

قال صاحب القصة : وآليت ألا أعود لثلها !

وكان بمصر أخوان توأمان تكهلا ولا يفرق بينهما من رأهما من قوة الشبه بينهما فوجب على أحدهما دين فحبسه القاضي أبو عبيد ، وكان أخوه يحبى زائر له فيجلس مكانه في الحبس ويتوجه الأول . وشاع ذلك حتى بلغ القاضي فأحضرهما وقال : أيكما فلان ؟ فقال كل واحد منهما : أنا ! فأطرق القاضي . ثم طلب الترم فدفن إليه الدين من ماله فراراً من الغلط في الحكم . فهل سمعتم في قضاة أمة بمثل هذا ؟

على أن في القضاة من كان يقضى بالهجان . قال ابن خلدون : ما أخذت على القضاة شيئاً إلا جوزتين فلما صرفت تصدقت بهما ! وقريب من هذا ما صنعه القاضي بكاريق قتيبة لما هم ابن طولون يخلع الموفق من ولاية المهدي ، وأجاب القضاة كلهم إلا بكارا ، فطلب أن يلعنوا الموفق فامتنع بكاريق فالح عليه فأصر على الامتناع حتى أغضبه ،

## أسباب السجن

يتساءل الإنسان عند البحث في هذا الموضوع ، عن الأسباب التي كان الناس يساقون بها إلى السجن . أفكانوا ينجحون نهجاً أو يقيمون شريعة إذا خرج عنها واحد ، عوقب بالسجن ؟ الحق أنه لم يكن شيء من هذا ، فقد كان يكفي أن يقول الخليفة أو الأمير أو صاحب الشرطة « الحبس » حتى يُودعوا من لُغظت بسببه الطبق<sup>(١)</sup> . فقد كان الحبس سلاحاً في يد الخلفاء والوزراء ، وقوة يكيدون بها للمتمردين والماسين والأعداء ، ويهددون مخالفهم فيما يشتهون ويحبون .

على أننا إذا استقرينا النصوص والأخبار ، نجد أسباب السجن تتلخص فيما يلي :

## (١) الوزارة سبيل السجن

ومن العجيب أن نرى أن الوزارة كانت سيلاً يوصل إلى السجن في غالب الأحيان . ونذكر من نجاح من الوزراء ، ولم

(١) كتاب الفيارات (مخطوط) انظر مثلاً دير مديان

الرشيد البطاش ، فيلين ويعفو ويكافئ ويشكر .

\*\*\*

أو سمعتم قصة سلطان العلماء العز بن عبد السلام القاضي ، أحد أفذاذ البشر علماً وحزماً وإيماناً ومضاءً ، لما صح عنده أن المالك لم يفارقهم الرق وهم حق لبيت المال ، والمالك يومئذ هم المالك يا سادة ! هم أصحاب الدولة والسلطان ، فنادى بينهم فقاموا عليه قومة رجل واحد ، وقام معهم كل منزلة من الناس للنوى الإمارة ، وهددوه وبسب ساعهم بالسيف إلى باب داره ، فنزل إليه فاطماً بهيبة إرعاه شعله غضبه ، وقلّ بعزمته حدّ سيفه . وبقى على موقفه منهم حتى باعهم في سوق العبيد وقبض آمانهم .. يا أيها السادة . إن منّا قضاة كانوا يبيعون للملك<sup>(١)</sup> !

على المنطاري

( دمشق )

(١) اتروا ترجمة هذه الفتحة إلى لغة الأدب عند إمام البلغاء

ساحب (وسى القلم) .

## سجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

- ١ -

تمهيد

مانحسب أن أحداً من انتقذين أو المحدثين ، بحث في السجون على التفصيل . فهذا مبحث بكر طريف ؛ سنحاول فيه أن تقدم إليك صورة واضحة تبين لك سبب السجن ، وترك أنواع السجون وضروب السجن ، ثم نطوف عليهم ، فترى ما يأكلون وما يلبسون ؛ وكيف يفرون متى يخرجون . فإذا فرغنا عقدنا فصلاً خاصاً بأدب السجون ، فأسمعناك طرفاً من الشعر المشرق التي قيل في السجن المظلم . ثم استذكرنا ما قاتنا من الحوادث والأخبار المتعلقة بهذا الموضوع .

إلا وجهه الواحد الذي ركب الله له . ولسانه الفرد الذي وضعه فيه ، وبها منه إلا قانون واحد يسوق بعصاه الوجه والحامل ، والكبير والصغير .

وقديماً نال بعض فعاتنا أذى كبير من أجل إقامة العدل ودحض الظلم ، والصدع بالحق ؛ ولكنهم صبروا فأغرم الله بصبرهم وأظهرهم وأعلى أمرهم . هذا الخارث بن مسكين قاضي مصر يحمل إلى الأمون أيام الحنة ، عنة الله والخلق التي جربت فيها صلابه الرجال ، وقوة المزائم ففاز في هذا الامتحان أقوام وخسر أقوام . وكان إمام الفاترين أحمد بن حبل — فيظل الخارث على ما يرى أنه الحق — ما لانت له عزمة ولا وهت له قوة . وهذا عمر بن حبيب القاضي لا يسه أن يسمع الطعن على أبي هريرة ويسكت فيحتسب قومه عند الله ويرد رأي الخليفة العظيم التي قال للثمامة أطرى حيث شئت فسيأتيني خراجك : هارون التي أباد البرامكة في ساعة وكانوا أعزة الأرض وكرام الناس ، يرد عليه فيفضب ويعرضه على السيف والتلع ، فيقلب حقه وثيابه عليه ، بطشة

يسجن . وربما قتل ولم يحس ، وربما صابه الأمران معاً . فقد سُجن بمقوب بن داود وزير المهدي<sup>(١)</sup> ، وجعفر بن يحيى وزير الرشيد ، ويحيى بن خالد وابنه الفضل<sup>(٢)</sup> وسجن محمد بن عبد الملك الزيات وزير المتصم والواثق بعد أن صودرت أمواله ، ونهبت دوره ، وُضمت إلى القواد ضياعه<sup>(٣)</sup> . وسجن ابن الخصيب وزير الستمين وتكب<sup>(٤)</sup> . كما حبس أبو الصقر وزير المتعمد ، وقتل<sup>(٥)</sup> . ولم ينج محمد بن عبيد الله من السجن ، فقد عزله القنطرة من الوزارة وحبسه مع ابنه<sup>(٦)</sup> .

وسبب ذلك أن الخليفة كان يستمع إلى أقوال المنافسين ، ويصنئ إلى مقالة الحاسدين ، فيأسر بعزل وزيره وسجنه . فإذا لم يسجن ، جاء خلفه فسجنه انتقاماً منه ، وخشية أن يشغب فيبعده عن السلطان .

### (ب) مناوئو الخلافة

أما مناوئو الخلافة ، والشاغبيون عليها ، فكان مثوام السجن . فقد سُجن عبد الملك بن صالح وقد أُسي به عند الرشيد بطلب الخلافة<sup>(٧)</sup> ، وسُجن العباس بن المأمون عندما دعا إلى نفسه ، فمات في الحبس<sup>(٨)</sup> . وحُبس الإفشين لما شق عصا الطاعة على الخلافة ، ولم يجدوا بداً من اتهامهم بالزندقة ليقتلوه<sup>(٩)</sup> .

### (ج) المبرور والمصابرات

وكانت الديون والمصادرات تودي بصاحبها إلى السجن . وكثارت من صودرت أموالهم وأودعوا السجون ، ثم أتى بهم فنوقشوا الحساب ، وطلب منهم رد الأموال . حدث سليمان ابن وهب قال : « كنت أنا والعباس بن الخصيب ، مع خلق من المال والكتاب معتقلين في يدي محمد بن عبد الملك في آخر

وزارته للواثق ، نطالب بقايا مصادرات قة بض على وأودعت الحبس . فسمعت ليلة صوت الأقفال تُفتح فلم أشك في أنه القتل وُفتحت الأبواب ... وحلني القواشون لنقل حديدي وُحلت إلى اسحق بن ابراهيم ، وكان صاحب الشرطة ، فإذا فيه صاحب ديوان الخوارج ، وصاحب ديوان الضياع ، وصاحب الزمام ، وبعض الكتاب . فطُرح في آخر المجلس . فشتني اسحق ابن ابراهيم أفبح شتم ، وقال : « يا فاعل ويا صانع تمرضني لاستبطاء أمير المؤمنين ؟ أين الأموال التي جمعها وُحبت بسببها ؟ فاحتججت بنكبة ابن الزيات . فقال لي صاحب ديوان الضياع : أخذت من الناس أضعاف أضعاف ما أدبت ، وعادت يدك إلى كعبة إيتاخ فأخذت ضياع السلطان وأقطعها لنفسك وحزتها سرقة إليك ، وأنت تستغلها ألفي ألف درهم ، وتزينا بزى الوزراء<sup>(١٠)</sup> .

وقد ذكر التنوخي كثيراً من أحاديث هؤلاء السجونيين لديون ومصادرات فليرجع إليه .

### (د) الزندقة ، الشعورية ، القرامطة ، المبرمجة ، الرافضة :

وكان الزنادقة يقتلون طوراً ويسجنون طوراً . وربما اتخذوا الزندقة سبيلاً للقتل أو السجن . وكان الزنادقة يودعون سجنًا خاصاً في الطبق . ذكر أبو نواس قال : كنت أتوم بخاد مجرد إنما يُرمى بالزندقة لمجونه في شمره ، حتى حبست في حبس الزنادقة فإذا بخاد مجرد إمام من أئمتهم ، وإذا له شعر مزاج بيتين يقرأون به في صلاتهم<sup>(١١)</sup> .

وقد سجن أبو نواس منهما بالزندقة ، وكان قد عرض بالأمين (صاحب التاج) واعتقد أن تعريضه هو سبب سجنه ، وأنهم جعلوا الزندقة سبيلاً . فقد قال :

وقد زادني تهماً على الناس أنني أراي أغنام وإن كنت ذا قمر  
فلو لم أنل غمراً لكانت صيانتني قى عن جميع الناس حسبي من غمر  
فلا يطمعن في ذلك مني طامع ولا صاحب التاج المحجب بالقصر  
فقال له الأمين وقد أتى به « أبكف بك الأمر إلى أن تمرضني في شمرك يا ابن اللخناء... ؟ » ثم اتخذوا عليه حجة أنه زنديق ؛

(١) القنطرة بعد السنة للتنوخي ج ١ ص ٤٣ .

(٢) الأقاليم ج ١٣ ص ٢١ .

(١) القنطرة ص ٢٢١ .

(٢) القنطرة ج ٣ ص ٢٧٠ .

(٣) الطبري حوادث - سنة ٢٣٣ .

(٤) القنطرة ج ٣ ص ٣٠٥ .

(٥) الآداب السلطانية لابن طلائع : ص ٣٠٠ .

(٦) المعظم لابن الجوزي : ج ٦ ص ١٢١ .

(٧) الطبري حوادث - سنة ١٨٧ : ١١ .

(٨) البدء والتاريخ لابن خلدون : ج ٦ ص ١١٤ .

(٩) ابن الأثير : ج ٦ ص ١٩٠ ، والبلخي ج ٦ ص ١٢١ .

## (و) الجورة ، النفس ، الشراب

وكان المستهترون والفساق يسجنون حتى ينالهم العفو . وذكر ابن المعتز أن إسحق بن إبراهيم لما بلغه ما فيه أبو العبر من الخلاعة والحجاة أمر بحبس . فكتب إليه أبو العبر رقعة يذكر أنه نائب ، ويسأله أن يخرج من الحبس حتى يعلمه رقية العقب فأحضره وقال : هات علمنا . فقال : إذا رأيت العقب فتناول النعل واضربها ضربة شديدة فإني لا تعود تتحرك ...

فضحك وقال والله إنه لا يفلح أبداً<sup>(١)</sup> .

وأمر المهدي إبراهيم الموصلى ألا يشرب ولا يتبذل ولا يفتي إبراهيم عند إخوانه وتبذل وشرب ، فضره ثلاثمائة سوط ، وقيد وحبس<sup>(٢)</sup> .

ووجد المسكين أبا دلالة زيد بن جون سكران في بعض الليالي قبضوا عليه ، وأخذوه فحرقوا ثيابه وساجه وحبسوه . فلما أفاق قال أيتها وأرسلها إلى النصور منها :

أمير المؤمنين فدتك نفسي      علام حبستني وخرقت ساجي  
أمن صباء صافية المزاج      كأن شماعها ضيواء النراج  
وقد طيخت بنار الله حتى      لقد صارت من النطف التضاج  
أقاد إلى السجون بغير جرم      كأنني بعض عمال الخراج<sup>(٣)</sup>

(ينج)      صراع الرين المتجر

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٦٢ .

(٢) الأفاق ج ٥ ص ٥٥ .

(٣) غار القلوب لشمالي ص ٥٢ .

قد شرب ماء المطر مع الخمر ، وقال : ها أنذا أشرب الملائكة ، فإن مع كل قطرة ملكاً ...<sup>(١)</sup> .

ومن الطريف أن نتابع القصة : فقد ذكروا أن خال الفضل ابن الربيع كان يتعهد المحبوسين ويسأل عنهم . وكانت فيه ففلة .

فدخل على أبي نواس فقال : ما جرمك حتى حبست في حبس الزنادقة ؟ أزدنيق أنت ؟ قال : ماذا الله ! قال أتعبد الكعبش ؟ قال : ولكني آكله بسوفه ! قال : أتعبد الشمس ؟ قال : والله ما أجلس فيها فكيف أعبدها ؟ قال : أتعبد الديك ؟ قال :

لا والله ، بل آكله ... وقد ذبحت ألف ديك لأن ديكاً تفرق مرة ، فلفت ألا أجد ديكاً إلا ذبحت . قال : فلا شيء حبست ؟

قال : لأنني أشرب شراب أهل الجنة ، وأنام خلف الناس . فقال : وأبأ أيضاً أفضل ذلك . فخرج خال الفضل إلى الفضل وقال له :

ما تحسنت جوار الله ! تحبسون من لا ذنب له ؟ سألت رجلاً في الحبس عن خبره ، فقال كذا وكذا ، وعرفه بما جرى بينهما ، فضحك ودخل على الأمين فأخبره الخبر ، فأمر بتخليته<sup>(٢)</sup> .

وكان الشيعة يسجنون لتهمهم على العرب ، وقد سجن الرشيد أبا نواس لقصيدته قالها وهجا العرب بها<sup>(٣)</sup> .

وحبس فيما بعد ، محمد بن هارون الوراق الملحد ، ومات في السجن ، وطُلب ابن الراوندي الملحد لسجنه فقرر<sup>(٤)</sup> .

وسجن المعتز رجالاً كثيراً من الدعوة إلى القرامطة والظاهرية منهم ، وسجن جماعة من الرافضة ، كانوا يجتمعون في مسجد لسب الصحابة والخروج عن الطاعة<sup>(٥)</sup> .

## (هـ) مخالفة رأي الخليفة ، إدهام النبوة

وكان مخالف رأي الخليفة أو الوزير مروعاً للسجن . وقد سجن أوف وقتل أوف في عنة خلق القرآن : وكان أحمد بن حنبل ، الذي لم يقل بخلق القرآن ، أحد من سجنوا<sup>(١)</sup> .

وكان التنبؤ يسجنون إن لم يقتلوا . وقد كثر التنبؤ في عصر بني عباس وكان لأصحابه مع الخلفاء نادر وأحداث<sup>(٢)</sup> .

(١) الطبري حوادث سنة ١٢٨ ج ١١ ، وللع والحوادث ص ١٢٥ .

(٢) الملح والحوادث لصري ص ١٢٤ - ١٣٥ .

(٣) حديث الأربعة ص ١١٣ .

(٤) المنتظم لابن الجوزي ج ٦ ص ١٠٢ .

(٥) المنتظم لابن الجوزي ج ٦ ص ٣١٧ .

(٦) الجبه وقطربخ للنجي ج ٦ ص ١٢١ .

(٧) مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٣١ ، وتاريخ بغداد لأبي

طهوف ص ٦٥ .

## الرفق ، والبرعة ، والنظام

والزور ، واعتدال الأسعار

كل هذا تجدونه في

مطبعة الرسالة

وهي مستعدة لطبع الكتب والمطبوعات العربية

## الفسطاط

كيف اعتبر سلطانها؟ ولم سميت بهذا الاسم؟

الأمستاد جمال الدين الشيال

يستطيع القارىء لأخبار الفتح العربي لمصر أن يلح في يسر ووضوح أن الحرب لم تكن قاعة إلا بين العرب والروم ، وأن القبط قد وقفوا من الجيئين موقف الحايذ ، وإن كانوا في سرائرهم يتمنون النصر للعرب لما سمعوه عنهم من حسن السياسة وطيب الماملة ، ولهذا استمر الروم يدافعون عن مصر وراء حصن بابليون سبعة أشهر طوالا ، والعرب يستمدون من الحماة الدينية والإيمان قوة لا تأبه للعقبات ، وصبراً لا يعرف اللل . . .

ولما سقط هذا الحصن في أيدي العرب زالت من طريقهم أكبر عقبة من عقبات الفتح ، وتراجع الروم إلى الأسكندرية فقيمهم السلون وحاربهم حتى استولوا عليها ؛ وبسقوط العاصمة الرومانية في أكتوبر سنة ٦٤١ م . تم فتح العرب لمصر فانتشروا في ربوعها حتى وصلوا إلى الشلال الأول ، وبذلك أصبحت مصر ولاية من ولايات الخلافة الإسلامية .

### عمرو يبرر أنه يتخذ لمصر عاصمة

روى ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الأسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها ، سم أن يسكنها وقال : « مساكن قد كفيناها » . فكتب إلى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك ، فسأل عمر الرسول : « هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ » قال : « نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل » ، فكتب عمر إلى عمرو : « إني لا أحب أن ينزل السلون مثلاً يحول الماء بيني وبينهم فيه شتاء ولا صيفا »<sup>(١)</sup> قد تبث هذه الرواية على التساؤل : لم كان عمر يخشى الماء ؟ يقول بعض المؤرخين : إن العرب لم تكن أمة بحرية ، وبذلك أبى بعد النظر على عمر أن يلتقي بجنود المسلمين في مكان يفصل بينه

وبين المدينة ماء ، حتى لا يكون هذا الماء إذا حاربهم الأمر حائلاً بينهم وبين الوصول إلى مراكز قوتهم ، وإذا أراد الخليفة أن يبعث إلى جنده بمصر مديناً لم يكن هناك ماء يتعرض سبيل هذا المدد ويمنع وصولهم .

وقد ذكر السيوطي في حين المحاضرة أن ابن عبد الحكم قد أخرج عن يزيد بن حبيب أيضاً أن عمرو بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمداين كسرى وإلى عامله بالبصرة وإلى عمرو بن العاص وهو نازل بالأسكندرية : « أن لا تجملوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت » . فتحول سعد من مدائن كسرى إلى الكوفة ، وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه ، فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الأسكندرية إلى الفسطاط<sup>(٢)</sup>

من هذا نرى أن رغبة عمرو في أن لا يحول بين المسلمين وبينه ماء لم تكن قاصرة على مصر ، بل كان يريد أن تتوافر في كل الأمصار التي فتحها العرب ؛ ويقول فريق آخر من المؤرخين ، ومنهم المستشرق الإنجليزي Lane Poole في كتابه The Story of Cairo إن عمر لم يكن قد رسم لنفسه بعد خطة ثابتة لتكون إمبراطورية إسلامية واسعة ، ولذلك كان يريد أن يكون على اتصال دائم بجيوشه التي خرجت للفتح ، وإذا كان الطريق بين بلاد العرب والأسكندرية قابلاً للانقطاع في زمن الفيضان فيقطع بذلك سبيل الاتصال بينها وبين المدينة عاصمة الخلافة فقد كتب عمر إلى عمرو يأمره أن يتخذ له حاضرة أخرى غير الاسكندرية .

ويبدو عند مقارنة هذين الرأيين — أحدهما بالآخر — أنه ليس للرأى الثاني من القوة والصحة قدر ما للرأى الأول ، وذلك لأن النشاط الذي أبداه عمر منذ ولي الخلافة وإرسال الجيوش تلو الجيوش إلى الشام وفارس ومصر ، كل هذا يثبت بالبرهان القاطع أن المستشرق الإنجليزي لين بول إنما قال ما قال من باب التليل والاستنتاج العقلي فحسب .

لهذا أعرض عمرو عن الاسكندرية وولى وجهه شطر الفسطاط ؛ ولنا أن تتساءل مرة أخرى : لم اختار عمرو هذا المكان دون غيره لبناء مدينة الفسطاط ؟ وهنا تتشعب الآراء

(١) المرجع السابق ص ٧٦ .

(٢) انظر القرظي ، الخطط ، ج ٢ ص ٧٥ — ٧٦ .



حول الحصن كانت تسمى بهذا الاسم ، وزعم الفريق الثاني هو الدكتور بئر ، وقد غلب رأيي في هذه التقراء .

١- كانت تقوم في زمن القراعنة مكان مصر القديمة (القساط) مدينة ذات شأن يدل عليها وجود بعض التماثيل المصرية مثل «سرية أبي الهول» the Doxy of the Sphinx ؛ وأن بعضاً من هذه التماثيل بقي حتى زمن الخليفة الحاكم الفاطمي (١) .

٢- وفي القرن السادس قبل الميلاد اتخذ البابليون لهم في هذا المكان معسكراً حريباً وأنشأوا هناك حصناً على المرتفعات الصخرية التي سماها العرب فيما بعد «الرصد» .

٣- ومن هذا المعسكر انتشر اسم «بابليون» حتى شمل الإقليم المجاور وأصبح الاسم المميز لمدينة عظيمة تمتد بعيداً شمال الرصد حتى تتصل بأطراف المدينة القديمة المظيعة المنحلة وقتذاك «هليوبوليس أو عين شمس» .

٤- وعندما أراد تراجان أن يبرز قوته عند رأس الدلتا واعتزم أن يبنى حصناً قوياً كقلعة لبابليون ، ترك حصن القوس القائم على الرصد وأنشأ قلعة على شاطئ النيل وذلك ليضمن وجود الماء بالقرب من حاميته ولتستطيع تلك الحامية الاتصال — بواسطة النيل — بسائر جهات القطر المصري وسمى هذا الحصن بحصن بابليون (أي حصن مدينة بابليون) أو قلعة مصر Castle of Khemf وقد حُرف العرب هذا الاسم فيما بعد فسموه قصر الشمع .

٥- وبذلك هجر حصن الرصد الفارسي واستولت عليه عوامل الانحلال والفساد ، حتى إذا كان الفتح العربي بعد ذلك بمخسة قرون ونصف قرن كانت الأخبار عن وجوده عامة لا تكاد تذكر .

(١) يذكر ابن دقاق في كتاب «الاتصار بواسطة عقد الأمصار» ج ٤ ص ٢١ — ٢٢ بولاق ١٣٠٩ هـ عند كلامه عن الأزقة التي كانت بالقسطاط «زقاق الصن» ويقول أنه سمي بهذا الاسم لوجود صنم به كان يسمى سرية أبي الهول وقد هدمه الأمير بلاط سنة ٧١٩ هـ ويؤيد بئر في رأيه أيضاً ما رواه ابن القتيبة في كتابه البلدان ص ٦٠ عن وجود تماثيل آخر من الحجر لامرأة كان بالقسطاط ؛ وما رواه المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ص ٢١١ لندن سنة ١٨٧٢ لاذيقول «وفي القسطاط عند قصر الشمع امرأة ممسوحة على رأسها بكرة من حجر... الخ هنا وقد عثر أخيراً على قطع من الحجر في حفائر القسطاط مكتوب عليها بلطط المبروغليني وقد نقلت إلى دار الآثار المصرية .

وتصدد ، ولكنها برغم تشعبها وتمدها لاتصل بنا إلى رأى حاسم معقول ، فقالية المؤرخين المصريين كابن عبد الحكم وابن دقاق والمقرئ وأبي المحاسن والسيوطي وغيرهم يروون حادث الخيانة على أنه السبب الأساسي لاختيار عمرو لهذا المكان وزوله وجيشه بين ربوعه ؛ وقالية المؤرخين الفرنجة : كبتلر ، ولين بول ، وكازانوفا وغيرهم ؛ لا يهتمون بمناقشة الأسباب التي دعت عمرواً لاختيار هذا المكان دون غيره قدر ما يهتمون بمناقشة الآراء المختلفة في سبب تسمية هذه الحاضرة بالقسطاط .

وبرغم أنهم يستطرفون قصة الخيانة فأنهم يرجعون هذا الاسم إلى الكلمة الإغريقية Fossatum (أي المدينة) ويقولون بأن العرب نقلوها عن الروم الشرقيين عند اتصالهم بهم في حروب الشام . غير أننا نحب أن نعني بالأمزين جميعاً لا لكل من الأهمية ، ولذلك سنحاول :

أولاً — مناقشة الأسباب التي دعت لاختيار هذا المكان ليكون حاضرة النصارى المصرية بعد إتمام الفتح العربي .  
ثانياً — مناقشة الأسباب التي دعت لتسمية هذا المكان بالقسطاط .

### ١- أسباب اختيار المكان :

أما من الأمر الأول فيقول المقرئ في خطبه : «اعلم أن موضع القسطاط الذي يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرق الذي يعرف بجبل المقطم ليس فيه من البناء والمهارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به شحنة المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية يقيم فيه ما يشاء ثم يعود إلى دار الإمارة» (١) .

من هذا يبدو أن العرب قد أنشأوا مدينتهم «القسطاط» في الفضاء المجاور لحصن بابليون — مقر الدفاع الروماني — ؛ وهنا نجد اختلافاً آخر بين المؤرخين بشأن كلمة «بابليون» فالبعض يطلقها على الحصن فحسب والبعض الآخر يقول بوجود مدينة

(١) المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ص ٥٩ مطبعة النيل بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .  
٣٥٠ ٣٠

٦ - أن اسم بابليون الذي وجده العرب عند قدومهم يطلق على مدينة مصر قد تلتصق بمرور الزمن وحل مكانه الاسم العربي الجديد « القسطنطين » حتى إذا ابتداء مؤرخو العرب يدونون كتبهم كان اسم « بابليون » قد أصبح يطلق على قصر الشمع فحسب بعد أن انتزع من المدينة التي أصبحت بعد اتساعها وتوسعها تسمى بالقسطنطين .

٧ - ولكن هذا الاحتمال المحدود للاسم ابتداء كذلك يلائم في عصر في الأزمنة الحديثة وغادر الاسم الأنقاض الباقية من قصر الشمع ؛ وتضال حتى غدا يطلق على دير قبطي صغير يقع عند البوابة الجنوبية من الحصن ويسمى « دير بابليون » وعند ذلك الدير الصغير استقر ذلك الاسم التاريخي القديم بعد أن خلفه في تسمية المدينة « لفظ القسطنطين » وبعد أن خلفه في تسمية الحصن لفظ « قصر الشمع » (١) .

ونحن لا يهمنا من هذا التحليل كله لتطور استعمال كلمة بابليون إلا أن نعرف أن المكان الذي أنشئت عليه القسطنطين كانت تشتهل منذ أيام الفراعنة مدينة كبيرة ذات شأن ؛ اتخذها البابليون مكاناً لاستقرارهم ثم اتخذها الرومان مقراً لدفاعهم يصلون به الوجهين البحري والقبلي ويدفعون منه كل مغير على مصر .

وهذا ما يؤيد الرأي الذي نريد أن نذهب إليه من أنه كان في مصر وقت الفتح مدينتان هامتان ؛ إحداهما الاسكندرية وتعتبر العاصمة الأولى وذلك قربها من القوة الرومانية الشرقية ساحية السيادة وقتذاك ، ولإشرافها على البحر الأبيض المتوسط ، وبابليون أو « مصر » وتعتبر العاصمة الثانية وذلك لموضعها من رأس الدنيا بحيث تشرف على الوجهين القبلي والبحري ، ولوقوعها على شاطئ النيل بحيث تكون سهلة الاتصال — بواسطة هذا النهر — بكل أطراف القطر المصري ، ولتوسطها بين النيل غرباً (وهو مورد من الماء لا ينفد) وبين جبل المقطم شرقاً — وهو حد طبيعي لحمايتها — ؛ ولهذا نلاحظ أن المصريين منذ القدم كانوا يختارون هذا المكان مقراً لحكمهم للأسباب المتقدم ذكرها (٢) فاتخذوا منف عاصمة لهم مدة ليست بالقليلة ، وكانت

(١) Botler, Babilylon of Egypt, P. P. 62, 93. , 1914

(٢) يقارن هذا بما ذكره ابن خلدون في مقدمته ١٩٠٠ - ١٩١١ ، القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ عما « يجب مراعاته في أوضاع المدن » .

هليونبوليس (عين شمس) كذلك حاضرة لمصر مدة طويلة (٣) ، وبابليون كما ترى تقع بين المدينتين (٤)

ويؤيد هذا الرأي القائل بوجود هبنا المدينة أيضاً قول المقرئ : « وكان مجوار هذا الحصن (بابليون) من بحريه وهي الجهة الشمالية أشجار وكروم وصار موضعها الجامع المتين ، وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس وديارات للنصارى في الموضع الذي يعرف اليوم براشدة ، وبجانب الحصن فيما بين الكروم التي بجانبه وبين الجرف الذي يعرف اليوم بجبل يشكر حيث جامع ابن طولون والكباش عدة كنائس وديارات للنصارى في الموضع الذي كان يعرف في أوائل الإسلام بالحراء » (٥) ؛ وقول ابن سعيد في كتابه المغرب : « وأما قسطنطين مصر فإن مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني عين شمس ، وجاء الإسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن » (٦) لأننا نعرف أن المعابد عامة — من هياكل وبيع وكنائس وأديرة ومساجد — منذ أقدم العصور إلى اليوم لا تبنى إلا في المدن أو الأماكن الآهلة بالسكان ؛ فوجود هذه الكنائس والديارات في الأماكن التي يذكرها المقرئ يثبت إثباتاً قاطعاً وجود مساكن آهلة ومبان عامرة في هذه المدينة القديمة وقت الفتح ؛ وقول ابن سعيد لا يحتاج إلى هذا الاستنتاج إذ يقول في عبارة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام « وجاء الإسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن » .

من هذا كله نرى أن اختيار عمرو ولحقا المكان لم يقع اعتباطاً ، بل كان اختياراً طبيعياً ؛ كان عمرو يريد أن يتخذ له حاضرة يستقر فيها غير أنه ما كان يريد أن يبذل جهداً جديداً في إنشاء هذه الحاضرة بدليل رغبته في اتخاذ الاسكندرية حاضرة ، وبدليل تبنيه عن هذه الرغبة بقوله : « مساكن قد كفيناها » (٧) ؛ ولكن ضمير قد أمره أن يتحول عن الاسكندرية ، فكان لزاماً على عمرو

(١) وقد بنيت العواصم المصرية الأخرى كلها شمال هذا المكان : (المكر سنة ١٢٣ هـ والطنطا سنة ٢٥٦ هـ والقاهرة سنة ٣٥٨ هـ) (٢) بين ابن القتيبي في كتابه (البلدان) موقع القسطنطين (بابليون) بالنسبة للمدينتين القديمتين في قوله « وعين الشمس علي ٣ فراسخ من القسطنطين ، ومنب مساكن بينها وبين عين شمس ٣ فراسخ » .

(٣) المقرئ . المرجع السابق ص ٦٠ .

(٤) نفس المرجع ص ٦٢ .

(٥) نفس المرجع ص ٧٥ - ٧٦ .

فهل من المقول إذن أن تترك هذه الليمعة العصرية تلك  
الأماكن الآمنة لتضم بيضها في مسكر دائم النشاط دائم  
الحركة وفي خيمة القائد وهي أنشط أماكن المسكر بالحركة  
وأمرها بالوافدين ؟

وإذا كانت هذه القصة صحيحة ففي أى مكان من الخيمة تبني  
الليمعة عشها ؟ والخيمة كما نعرفها جميعاً مصنوعة من قماش أملس  
وهي منحدرية الجوانب إذا نصبت (١).

كل هذا يؤيد شكنا في صحة هذه القصة وكرهنا أصلاً للتسمية  
أما الرأي الثانى فيبدو كذلك بعيداً عن الصحة وذلك لأن  
ابن تينة يروى في كتابه قريب الحديث حديثاً للرسول نعه :  
« عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة » (٢) ؛ ونحن إزاء هذا  
نجد أنفسنا أمام احتمالين : إما أن يكون الحديث صحيحاً فيبطل  
الرأى القائل بأن العرب أخذوا كلمة القسطاط عن الروم عند  
اتصالهم بهم في حروب الشام لأن حروب الشام واتصال العرب  
بالروم كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي بعد ذكره لهذا  
الحديث ؛ وإما أن يكون الحديث غير صحيح وبذلك يحتمل أن يكون  
رأى مؤرخى الفرنجة صحيحاً .

غير أننا نحب أن نلقى برأى يخالف هذين الرأيين وقد يكون  
أقرب منهما إلى الحقيقة : وذلك أن كلمة القسطاط كلمة عربية  
معناها المدينة ، فإتينا إذا رجعنا إلى قاموس المحيط وجدنا أن  
« القسطاط » بالضم « مجتمع أهل الكورة » ووجدنا أن الكورة  
هى « الصقع أو المدينة » وبذلك تكون القسطاط هى مجتمع أهل  
المدينة .

ويقول ابن تينة تمقياً على الحديث السالف الذكر  
« والقسطاط المدينة » (٣) . وينقل عنه القرزى أيضاً في الخطط

(١) يذكر هذه القصة بالتفصيل مؤرخو العرب جميعاً ؛ انظر مثلاً :  
القرزى . المرجع السابق ص ٧٦ ، وابن دقاق للرجع السابق ص ٢ ،  
ومراسد الاطلاع على أسماء الأماكن والباق ، إبريل سنة ١٨٤١ ج ٢  
ص ٢٥٤ ، وأبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٦٤ - ٦٥ ، القاهرة  
سنة ١٩٢٩ ... الخ غير أنه يتضح بعد مناقشتها أنها من وضع هؤلاء  
المؤرخين . كثيرها من القصص التى تنسب لهذه القصة وخاصة قصة الفتاة التى  
كانت تقدم ضحية لقيس النيل والمحطاب التى أرسله عمر ليقبى بدلا من  
الفتاة .

(٢) انظر أيضاً ياقوت ، معجم البلدان .

(٣) ابن دقاق ، الانتصار ج ٤ ص ٢٠ .

أن يحول وجهه شطر العاصمة الثانية وقتناك وهى « بابلون »  
أو « مصر » (١) فذهب إليها واتخذ الفناء المجاور لها مقراً  
له ولجنوده .

هذه هى الأسباب الطبيعية التى دعت عمراً لاختيار هذا المكان  
غفل من ذكرها مؤرخو العرب ، ولم يصرها اهتماماً مؤرخو الفرنج

### ١ - لم سميت المدينة بهذا الاسم :

أما عن الأمر الثانى وهو الأسباب التى دعت لتسمية ههنا  
المكان بالقسطاط فإن الآراء فيها وإن اختلفت وتشعبت فإنها  
كذلك لا تصل بنا إلى حد حتمى مقبول .

أما مؤرخو العرب فيتمسدون جميعاً على قصة الليمعة ،  
وأما مؤرخو الفرنجة فتقول غالبيتهم بأن كلمة القسطاط قد أخذت  
من الكلمة الإغريقية Fosstatum أى المدينة وأن العرب نقلوها  
عن اليونان عند اتصالهم بهم في حروب الشام . غير أننا نرى أن  
قصة الليمعة مع طرافها قد تبعد عن الصحة وذلك لأنهم يقولون  
أن عمراً قد أوصى أحد المصريين في رواية أو صاحب القصر في  
رواية أخرى بالمحافظة على الخيمة « القسطاط » حتى تفرغ الليمعة  
وتطير ستارها ، وآتاه عند رجوعه وجد القسطاط في مكانه ففرل  
هو وجنوده بجواره ؛ ونحن نشك في صحة هذا الخبر لأن عمراً  
ولو أنه كان قد استولى على حصن بابلون فإن مصر لم تكن قد  
خضعت كلها لأمره ، ولذلك لا يعقل أن ذلك الرجل المكاف  
بالمحافظة على القسطاط يبقى على عهده ويحافظ على وعده مع رجل  
فاتح لم يشق بعد أنه قد أصبح الحاكم على مصر حتى يخشاه ويحافظ  
على حراسة قسطاطه من أجل ليمعة طول ذلك الوقت الذى استنفده  
عمرو في فتح الاسكندرية ، وما بين بابلون والاسكندرية من مدن  
ويدفنا أيضاً إلى الشك في صحة هذه القصة ما هو معروف  
مشهود عن الطيور المختلفة وخاصة الحمام واليمام من أنها تتخير  
لأعشاشها وبيضها وفراخها الأماكن المنزلة المهجورة البعيدة  
عن أن يطرقها إنسان أو تنالها الأيدي سوناً للأعشاش وحفظاً  
للبيض وإبقاء على الصغار .

(١) زبدة في الايضاح انظر A history of ، St. Lane - Poole

Egypt in the middle Ages, P. 3, London, 192.

## عرب السودان والصحراء الشرقية للأستاذ حسن أحمد حسين خليفة

كتب جماعة من المستشرقين وبعض الكتاب كتابة خاطئة عن أنساب بعض عرب السودان والصحراء الشرقية ، فجاء في محاضرة دخول العرب للسودان التي أقيمت في الجمعية الجغرافية الآسيوية منذ سنوات قليلة ما ملخصه : « إن معظم سكان الجزء الشمالي من السودان على ضفاف النيل يدعون أن نسبهم يتصل ببني العباس ، غير أن هذا محض ادعاء لم تثبت حقيقته بعد »  
وزعم نعم بك شقير صاحب كتاب « تاريخ السودان » :  
« إن أنساب عرب السودان للأصول التي ينتمون إليها ،

يأبى إلى : « قال ابن قتيبة كل مدينة فسطاط » ، ويقول المقرئى بعد هذا : « وأخبرني أبو حاتم الأصمى أنه قال حدثني رجل من بني تميم قال قرأت في كتاب رجل من قرش : هذا ما اشترى فلان بن فلان من مجلان مولى زياد اشترى منه خمائة جريب حيال الفسطاط يريد البصرة »<sup>(١)</sup> ويشبه هذه الرواية الأخيرة ويؤيدها قول ابن الفقيه : « وإنما سميت البصرة فسطاطا على التشبيه بفسطاط مصر »<sup>(٢)</sup> ، وقريب من هذا المعنى قول المقدسى : الفسطاط هو مصر في كل قول »<sup>(٣)</sup>

فلراجع عقلا بعد ذكر هذه الآراء جميعا أن كلمة « فسطاط » كلمة عربية خالصة معناها « المدينة » .  
وخلاصة القول الذي نريد أن نذهب إليه أن العرب اختاروا هذا المكان اختياراً للأسباب السابق ذكرها وأنهم سموه « الفسطاط » أي « المدينة » أو « مجتمع أهل المدينة » يتصدون بذلك المكان الذي يجتمعون فيه حول جامعهم وحول منزل قائمهم .

### جمال الدين الشيال

(١) المقرئى ، المرجع السابق ج ٢ - ٢٥ - ٢٦ .

(٢) ابن الفقيه ، كتاب البلدان - ٦٧ .

(٣) المقدسى ، المرجع السابق - ١٩٧ .

لا ثبت له عديم إلا ما حفظوه أو لفقوه من القصص الخرافية .  
ونسب المستشرق شوينفرت في كتابه « طرق مصر الهجورة »  
المبادة والشكرية وغيرهم من قبائل الصحراء الشرقية للبيعة ؛  
وقال : « إن المبادة تعربت كثيراً والشكرية تعربت »

ونسب البستاني صاحب دائرة المعارف ، والمستشرق بروس المبادة للبيعة ، وزاد نعم بك شقير على ذلك بقوله : إن في تقاليد المبادة أنهم قوم الزبير بن العوام ، ولعل قوم الزبير اختلطوا بهم فكانوا رؤوسهم . وإلى هنا نكتفي بهذا القدر من مزاعمهم ورد عليها : بأن من الثابت في التاريخ أن فريقاً من بني العباس هاجروا من البصرة المصرية إلى السودان في القرن الثامن الميلادي<sup>(١)</sup>

وإذا كان من صفات عرب شمال وشرق السودان والصحراء الشرقية تلتقي الأنساب ، فإن فيهم الجباب<sup>(٢)</sup> من نسل أبي لبب واليزيديين<sup>(٣)</sup> من نسل يزيد ، فكان أخرى هؤلاء أن يلقوا لهم نسباً غير نسبهم

أما تلك القبائل التي نسبوها للبيعة ، فهي قبائل عربية صميمية فالمبادة في الأصل فرع من الكواهلة بنى محمد النكاهل بن عبد الله المكى بأبي بكر بن حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي . ومحدثنا الرحالة ابن بطوطة في كتابه « تحفة النظار وجمائب الأمصار » أنه رأى في نحو سنة ٧٥٧ هـ حياً من العرب بصحراء عيذاب (عتباى) على بعد يومين من رأس دواير يرفون بأولاد كاهل مختلطين بالبيجة عارفين بلسانهم .

وإن كاهلا التي أشار إليه ابن بطوطة هو محمد الملقب بكاهل الذي يرجع إليه المبادة وقبائل أخرى في نسبهم .

وجاء في كتاب « صبح الأعشى » للقلقشندي ، و« البيان والإعراب » للمقرئى من مؤرخي القرن التاسع الهجري ما ملخصه : « إن السيدة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب التي أمها السيدة أم كلثوم بنت السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب هي أم يحيى وأبي بكر بنى حمزة بن عبد الله بن

(١) كتاب قبائل العرب في مصر للأستاذ أحمد لطفي السيد .

(٢) القصوصيهم قبيلة الجباب التي تقيم في جهات طوكروعتين وعدوثة

ورأس كاد ولارورة وأوتاريا .

(٣) القصوصيهم اليزيديون من بني يزيد بن معاوية وهم جماعة متفرقة

في بعض بلاد الريطاب والجليلين .

وإن عرب السودان والصحراء الشرقية وبلاد النوبة يحفظون أنسابهم التي توارثوها عن أسلافهم . وقد جاء في القول المأثور : « إن الناس مصنفون في أنسابهم » . وهذا ثبت كاف لهم ، وعلاوة على ذلك فإنهم يتكلمون باللغة العربية إلا بعض قبائل في الصحراء الشرقية ، وبلاد النوبة تعد على أصابع اليد ، اتخذت البجاوية أو النوبية لغة لها بحكم البيئة التي وجدت فيها

ومما نأسف له أن بعض كتاب مصر التائبين ممن ظهروا أخيراً وهم أحق بمعرفة السودان وما كنيه من أولئك المستشرقين وغيرهم كتبوا عن أنساب قبائل السودان والصحراء الشرقية وبلاد النوبة متأثرين بأقوال المستشرقين والسوريين الخاطئة ، لا كتابة من ينرف سكان تلك الجهات معرفة درس وتمحيص أعمق وأصح من الأساطير والمعلومات المتأثرة التي وضعها المستشرقون وكتاب سوريا ، وهي أقوال لا تستند إلى أي ثبت وإقامة تلك القبائل في إقليم كان يسكنه في القرون السحيقة أقوام ليسوا من العرب ، وإليك نبذاً من أقوال بعض كتاب مصر في هذا الموضوع :

قال علي باشا مبارك في الخطط التوفيقية : « يظن أن عرب العبايدة من البجة » . وقال الأستاذ البنتوني في كتاب « الرحلة الحجازية ما ملخصه : « يقال إن البجة من عرب البربر ومنهم المشايب ، وهم نخذ من العبايدة ، ويقم أناس من المشايب في القنيطرة بين قنط والقصير » . وقال الدكتور مأمون عبد السلام في مقالة نشرتها له جريدة الأهرام في سنة ١٩٣٩ م ما ملخصه : « إن جغرافي العرب وصفوا الصحراء الشرقية وتكلموا عن سكانها من البجة ، وهم البشاريون وأقرباؤهم العبايدة ، فذكرهم البغدادي وابن الأثير والمقرزي » ١ .

وأقولهم هذه لا صحة لها ، فالظن ليس حجة ، وإن عبايدة عرب البربر هم نخذ من قبيلة هواره ، وقد ذكرهم القلقشندي في كتابه « مباح الأعشى » ، ويقمون في الوجه البحري بالنيار المصرية ، ولا تربطهم أي صلة نسب بالعبايدة بنى الزيريين يقيمون بصعيد مصر والصحراء الشرقية والسودان . وإن جغرافي العرب الذين أشار إليهم الدكتور مأمون عبد السلام لم يذكروا البشاريين والعبايدة بنى قبائل البجة التي ونحوها في مؤلفاتهم التي اطلعتنا عليها

الزير بن العوام وأم إبراهيم بن طلحة الجود ، وإن السيدة زينب ولدت لعبد الله بن جعفر أولاداً عرفوا بالزيرية هم جفاقة الصعيد ، ومن هذه الآخرة كانت بنوطلحة وبنو الزير والجفاقة يداً واحدة في صعيد مصر » . وها أنت ترى اليوم في القرن الرابع عشر الهجري العبايدة بنى عبد الله الكنى بأبي بكر الزيرى يقيم أكثرهم مع الجفاقة في صعيد مصر بمديرى أسوان وقتنا ، ومختلطين معهم في جميع سبل الحياة كما كانوا في القرن التاسع الهجري

أما ذلك الحى من أولاد كاهل الذى رآه ابن بطوطة في رحلته بالصحراء الشرقية ، فيلوح لنا أنه رحل من صعيد مصر إلى تلك الصحراء عند تفرق العرب عقب حوادث سنة ٦٥١ هـ التي خصلت بين حصن الدولة الجعفرى زعيم العرب بالقطر المصرى ، والملك المزيك أول ملوك دولة المماليك البحرية كما تراء مفصلاً في كتاب السلوك للمقرزى

ورب قائل يقول : إن بعض مؤرخى القرن التاسع الهجري يبنوا في مؤلفاتهم أسماء القبائل العربية وأماكنها بالنيار المصرية في عصرهم ولم يذكروا العبايدة . لجوابنا على ذلك هو أنهم لم يشتهروا باسمهم الخالى إذ ذاك<sup>(١)</sup> ؛ وقد اشتهروا به في القرون الأخيرة كما اشتهر في القطر المصرى والسودان وغيرها من الأقطار عدة قبائل عربية بأسماء غير التي كانت تعرف بها أصولها في القرن التاسع الهجري وما قبله من القرون ، ومن المعلوم أنه كلما مر الزمن كثرت القبائل وتمددت أسماءها

والشكرية عرب من خيار العرب ، وهم من آل شكر بن إدريس ، ويتصل نسبهم بالسيد عبد الله الجواد ، كما جاء في نسخة خطية منسوبة للإمام السمرقندى

ومن المعلوم أن كثيراً من العرب الذين ينتمون إلى تلك الأصول التي ينتمى إليها عرب السودان والصحراء الشرقية وبلاد النوبة أتوا إلى القطر المصرى عند الفتح الإسلامى وفيما بعده من المصور ، وإن الكثير منهم هاجر إلى الصحراء الشرقية وبلاد النوبة والسودان ، وخصوصاً في زمن حكم المماليك الذين أدلوا العرب واضطهدوهم في النيار المصرية

(١) اشتهروا أخيراً بهذا الاسم نسبة إلى جددهم عباد الصير الذى يصل نسبهم بالزير بن العوام في الجلد الرابع عشر .

ومما جفناه من المعلومات الصحيحة في مدة إقامتنا عدة سنوات بالسودان الشرق وجبال بني عامر ، إنه لما كثر العرب من بني الزبير بن العوام بصحراء مصر الشرقية في القرون التأخرة وقويت شوكتهم وكثرت أنعامهم ، ضايقوا البجة في أماكنهم بتلك الصحراء<sup>(١)</sup> سبب شح الأمطار وقلة المراعى التي لا تكفى هناك لساعتهم جميعاً ، فاضطرت البجة تحت ضغطهم للرحيل إلى الجنوب شيئاً فشيئاً ، وأقامت في الجبال التي حول سواكن ، وبعد ذلك حاربها المهدندوة وقتل رئيسها أحمد باركون : شكيتل ملك البجة ، وهو من قبيلة بلي العربية ، إذ كانت رئاسة البجة لبلي وتسميهم البجة بلوب ، ويقال لهم حدارب ، وإن وجود بلي في الصحراء الشرقية يرجع إلى زمن بعيد ، فإن التاريخ يحددنا أن قبيلة بلي كانت تقيم في شمال منطقة البجة على عهد ظهور النصرانية بالقطر المصري ، حيث يقيم الآن بعض عرب الميابة ، وتدل القرائن التاريخية أن بلي هي أول قبيلة عربية خالطت البجة ، لأنك إذا سألت البجاوى : هل تعرف العربية أجابك (بلوبه كاك) أى لا أعرف لغة بلي ، وكان الحدارب يتولون التجارة بين السودان الشرق والحجاز واليمن ، فزاحتهم قبيلة الارتيفة<sup>(٢)</sup> في التجارة ورئاسة القوافل ، وانتزعتها منهم في الخمسة قرون الأخيرة ، وأصبح اسم حدهوى خاصاً بالارتيفة .

ولما قتل شكيتل ملك البجة المار ذكره دفن في شمال مدينة سنكات بالجبل المسمى باسمه ، وعلى أثر ذلك رحلت البجة من الجبال التي حول سواكن ، وأقامت مع بقية البجة في المنطقة من عند مدينة طوكر شرقاً ، حتى قرية الشيخ الإمام بديار الحبشة غرباً . وجبل هجر ونهر عنصيا (عين سبأ) بأرضاً جنوباً . وشمالاً بخور بركة الذي يروى أراضي طوكر

وإن قبائل البجة التي تقيم الآن في السودان المسمى الإنجليزي هي :

اللبث والكربكتاب والشكاتكنات<sup>(٣)</sup> ، وفريق من الخاسه

والمقري وغيرهم فعلى :

البازة والباريه والخاسه والحدارب<sup>(١)</sup> والزناج .

وإن منطقهم كانت تمتد قديماً في شرق أفريقيا من صحراء قوص بالقطر المصري إلى بلاد الحبشة ، وعاصمتهم كانت مدينة هجر<sup>(٢)</sup> ، وفي وقتنا الحاضر يقيمون في القسم الجنوبي من تلك المنطقة

(١) الحدارب : هم سفوة القوم

(٢) هجر : جبل شامق جداً فيه كهوف ومناور لا تحصى ، وهو على مسبعة يومين من مدينة « كرن بلوتريا »

(١) قسم الشمال من منطقة البجة .

(٢) وهم من الحضارم الذين هاجزوا إلى السودان عن طريق البحر

الأحر .

(٣) وهم الذين كانوا يسمون قديماً بالزناج .



## هذا العالم المتغير

كثرة الأكل قد تسبب السرطان

للأستاذ فوزى الشتوى

نشر ٣٠٠٠ عام :

يقتك مرض السرطان بستين في المائة من نخايه في أرقى الأمم التي تهتم بعلاجه ودراسته . أما في مصر فلا يعرف عدد المصابين به إلا الله . فإن لم يكن الطبيب على شيء من البراعة فربما اعتبره نوعاً من الأورام . تستطيع أن تتعقب المرض إلى ٣٠٠٠ سنة ، ومع ذلك فما يقال عنه ضرب من الفروض والتخمينات ، برغم ما يبذل من المال لدراسته ، وبرغم الإحصائيين الذين وقفوا حياتهم وخبرتهم لكشف سره .

فإن أردت أن تعرف مدى سبر غور العلم لطلابه ، فقلت

ويتبعون في وقتنا الحاضر لنظارة بني عامر . ويوجد من بقايا البجة أقباط في قبائل عرب البشاريين والأمراء والمهندوة والحباب ، وهم معروفون لتلك القبائل

وتسكن عرب البشاريين (١) والأمراء (٢) والمهندوة (٣) والخلقة (٤) بلغة البجة (٥) بتأثير البيئة ، لأنه لما نزل في إقليم البجة العرب الذين تكوّن منهم تلك القبائل ، اضطرت بحكم الجوار والإقامة بين البجة لمخالطتها في جميع سبل الحياة ، وزد على ذلك أنهم كانوا يتزوجون من البجة فينشأ أولادهم وبناتهم على لغة

(١) يرجع نسب قبيلة البشاريين إلى عماد بن وراق من نسل مصعب بن الزبير بن العوام .

(٢) يرجع نسب قبيلة الأمراء إلى عماد بن وراق من نسل مصعب بن الزبير بن العوام ويرجع نسب بعضهم إلى البديلاب القواسمة .

(٣) يرجع نسب قبيلة المهندوة إلى بني العباس وأبي بكر الصديق والكلبة .

(٤) ويرجع نسب قبيلة الخلقة إلى قبيلة هوازن .

(٥) من القبائل العربية التي أثمرت فيها البيئة وأصبحت تتكلم بلغة البجة قبيلة الأريفة وهم من عرب حزموت . وقبيلة الكيلاب وهم من بني مصعب بن الزبير . وقبيلة ادق وهم من بني العباس وبعض الأشراف الذين يقيمون في شرق السودان والصحراء الشرقية

أجد أوفق مما كتب الدكتور هارولد رش مدير معهد أبحاث السرطان في إحدى كليات الطب بأمريكا حين قال : « ليس لدينا علاج عقيق للسرطان . وليس في جمعتنا واحد يفكر في تنفيذه وإن كنا نتوق إلى ما يضيء لنا الطريق ، وكل عملنا يتجه إلى دراسة المظاهر الأساسية والعوامل التي يحتمل أن تغير مجراه »

« ومع هذا فقد ظفر بتقدم واسع شامل ، قمرنا عدة وسائل لإحداث السرطان في العمل في أي وقت نشاء ، وعرفنا أيضاً بعض التحولات التي تطرأ على أنسجة الجسم العادية حين تصاب بالسرطان »

### بيرو كراسي الديوس

وليس معنى هذا أن الطب يقف أمامه مكتوف اليدين ، فأربعين في المائة من مرضاه تعالج بالعمليات الجراحية وبأشعة إكس وبالراديوم وبغير هذه العلاجات يقضى بالموت على كل المصابين به ، فهو ذلك المرض الغريب الذي يبدأ بورم صغير كراس الديوس ، ثم ينمو

أمهاتهم ، فتغلبت البجاوية مع مرور الزمن على العربية كما تغلبت اللغة النوبية على العرب والترك الذين أقاموا بجعات دنقلة وشمالها . وتتكلم قبيلتي بني عامر (١) والحباب (٢) بلغة يسمونها الخاساويه ، وهي خليط من لغة التفرى الحبشية واللغة العربية . ولم يبق لهذه القبائل العربية الأصل ما يختلف فيه عن قبائل البجة إلا العادات ، ولذلك يحسبهم بعض المستشرقين والكتاب بجاة لتكلمهم بلغة أبجة وإقامتهم في إقليمهم . وهذا خطأ لا يتنبه إليه إلا من يتصل بهم ويحتمس بمن له معرفة منهم بحوادث قبيلته التاريخية ولا تخالو قبيلة من هؤلاء

ولا يفوتنا أننا لم ندل بمعلوماتنا هذه إلا إظهاراً للحقيقة ، فالتناس كلهم سواء ، وإن التفضيل بينهم بالفضل والتقديم بالفعل : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

(برر بالودان) حسين أحمد عيسى خليفة العبادي

(١) يرجع نسب قبيلة بني عامر إلى الجليلين وأبي بكر الصديق وهذه القبيلة تضم الكثير من البجة .

(٢) يرجع نسب قبيلة الحباب إلى أبي لب

الفيران ، فوجدت الأورام السرطانية منتشرة في الفريق الأول بنسبة ٨٦٪ ووجدت في الفريق الثاني بنسبة ٧٪ فقط ويقول الدكتور روش إن هذه النتيجة تتفق مع أبحاث الهيئات الأخرى ، إذ ظهرت الإصابات السرطانية في صدر الفيران التي تتغذى بكميات مطلقة بنسبة ٦٧٪ ، ولكنها لم تظهر بتاتا في الفيران المحدودة الوحدات الحرارية في الغذاء .

وبطل هذه النتيجة بقوله : « عندما يحتفظ الجسم بمستوى مرتفع من الغذاء ، فإنه يتيح الفرصة للخلايا السرطانية الكامنة لكي تظهر وتنمو ، بخلاف حالات قلة الغذاء التي تعد غير مناسبة لبدء حالة الورم السرطاني ولا تعطى الفرصة لكي تبدأ عملها ، وعجرب ظهور الخلايا السرطانية وبدئها عملها ، فإن قلة الغذاء أو كثرة تكبرن عددة القيمة ولا تحد من نشاطها وتكاثرها » . ولا يدل نجاح هذه التجارب على الفيران أنها ستؤدي إلى ذات النتيجة في الإنسان ، ولكن الدكتور روش يرى ما يؤيد هذه النظرية في ارتفاع نسبة إصابة الإنسان بالسرطان في المناطق الراقرة التغذية وبين الأشخاص الثقيل الوزن والأكولين

#### تأثير الفيتامينات

وتجرى الآن التجارب لمعرفة تأثير الفيتامينات من حيث القلة والكثرة على الخلايا السرطانية . كما يجرون تجارب التهييج الزمن ، ويفحصون تأثيره على ظهور عوارض هذا المرض . والمعروف أنه توجد علاقة بين تكوين الخلايا السرطانية وبين التهييج ودلت التجارب الأخيرة على أن التهييج لا يؤدي إلى إحداث السرطان إلا إذا حدثت في المناطق التي تحتوي على خلايا سرطانية كامنة ويفهم من التجارب التي أجريت على السرطان أن عدة عوامل متباينة تلعب دورها في نشوئه ، فالنهم وحده لا يمسبه ، ولكن هناك أفراد ليسهم اعتمادهم للإصابة به . وهو كامن فيهم سواء بالوراثة أو بعوامل أخرى لا تزال مجهولة ، والإكثار من الأكل عند أولئك الناس يعطى المرض فرصة الظهور

#### تثبيت المرض

والخلاصة التي وصل إليها الباحثون في الكشف عن أسرار هذا المرض الخبيث أنه يحتاج إلى عدة عوامل متباينة متآزرة ، تعمل كلها في وقت واحد ، فالنهم يجب أن يصحبه الاستعداد للمرض . والتهيج يجب أن يحدث في أجزاء بها خلايا كامنة ،

ويتشعب ويتشتر حتى يفسد الجسم كله . ويتفق الأطباء والجراحون على أنه كلما بكر المريض بعلاجه كان النجاح أكثر ضمانا أما سر التثكير في العلاج فيرجع غالباً إلى طبيعة المرض الذي يتكون من خلايا حية تختلف عن الخلايا العادية في أنها حرة طليقة لا يحد من نموها أي ضغط . وعندما توجد خلية سرطان في جسم الإنسان أو الحيوان فإنها تنقسم وتتوالد في سرعة فائقة لا تحدها أية عقبة . فإن كثر عدد الخلايا وكبر حجمها انقسمت وسبحت شظاياها في جسم المائل لتكون كل منها مستعمرتها الخاصة ، وعندئذ يتمرد على الطبيب إجراء العلاج فما هي الخلية السرطانية ؟

سؤال يزعج على العلم الجواب عنه ، وكل ما يقول إنها أصغر من أن يراها المجهر . ويواصل العلم جهوده ليعرف هذه النكبة التي لا يراها المجهر ، وليدرك كيف تتكون في الجسم وتنقسم دراسة السرطان في إحدى الهيئات التي وقفت جهودها ومالها على إزاحة الغطاء عنه إلى ثلاث شعب : أولا : تأثير الغذاء على السرطان في نموه أو عرقته وثانياً : تأثير التهييج الزمن على تكوين السرطان ثالثاً : خواص الخلية السرطانية

وفي عام ١٩٤٠ بدأ العلماء بدرسون الصلة بين التغذية وتكوين خلايا السرطانية على الفيران ، فلاحظوا ظهور أورامها في حالات كثيرة في الفيران التي يحتوي غذاؤها على نسبة كبيرة من اللحم ولكي يحدودوا بالضبط تأثير التغذية على قابلية الفيران للإصابة بالمرض أحضر العلماء بنوع مئات من الفيران وقسموها إلى فريقين فيعطى الفريق الأول غذاء يولد نسبة مرتفعة من الوحدات الحرارية ( يتحول كل غذاء يتناوله الكائن الحي إلى وحدات حرارية هي في الواقع الوقود الذي يسير أجهزته وتختلف القيمة الحرارية باختلاف ألوان الطعام )

#### مزارع السم :

ويعطى الفريق الثاني وجبات غذائية مماثلة لوجبات النوع الأول ، ولكن كميتها الحرارية تبلغ ثلثي وجبات الفريق الأول . وكان الفريقان يمرضان للأشعة فوق البنفسجية للاسراع في تكوين الخلايا السرطانية وتحديد مؤثراتها وبعد تسعة شهور من التجارب أجرى الكشف الطبي على

## حمل قديم . . .

لأستاذ سير قطب

طاق في مستظلاً حلى القديم  
فتطلعت إليه في وجوم  
قلت : من أنت ؟ فأغضى خجلاً  
قال لي : حملك في العهد الوسيم !

قلت : يا حلم . متى عهدى ذلك ؟  
منذُ كم يا حلم . فتر طافت رؤاك  
قال : لم يبعُدْ بأطيانى المدى  
قلت : ما أبعد ما مررت خطاك

شدَّ يا حلى ما قد حالَ حتى ؟  
شدَّ يا حلى ما أنكرت نفسى !  
أترى ذاك الذى تعرفه ؟  
قال : ما تبصر عيني غير ردى !

ومضى على في يأسٍ عقيم  
سادر الخطوة في الأرض يهيم  
قلت : يا حلى أغضى مغرماً  
ليس في الرئس سوى قلب رميم !

وبشر هذا التعقيد فإن هذا المرض كان جديراً بأن يبيد العالم كله منذ زمن بعيد .

ومجى العلماء أيضاً في الوصول إلى علاج لسرطان الجلد ، إذ وفق الدكتور موهز إلى ربط العلاج الكيميائي بالجراحة ، فأمكنه أن يثبت المرض في بقمته فلا يزوغ من بين يدي الجراح عند ما يحاول إزالته بمشرطه كما هي المادة ، فالسرطان من الأمراض التي يميز على الأطباء حصرها لكثرة حركته

وخير نصيحة يوجهها الدكتور دوش إلى الناس ليتقوا هذا المرض الخبيث الجهول الأصل والنشأة : « أن تكون سليمي البنية ، تقتصر على طعامنا الضروري ، متبعين عن التهيج ، على أن لا تنسى غصن أجسامنا فصلاً تاماً في كل فترة فوزى الشوى

## أطيان . . .

الأستاذ أحمد عبد الجيد الفزالي

« لا تنأ هذه الأطيان تخادع أومام الشاعر فترده إلى  
الماضى البعيد يحلم ؟ ويأمل ؟ .. ولكن ميهات ؟ »

حالمٌ بالسنى ؛ تراه يُفنى  
ويح له سُبُباتُ غميق ؟  
غفوة الحلم ، بقطة الأمل ولى  
موعداً يرتجى ، وذكرى تشوق  
طال في ظلة من الشك نوى  
فتى يمسح الظلام الشروق

أشرق تشرق الحياة ، وتصفو  
من دُجَاها ويستبين الطريق  
أنا أشتاق ومضى عينيك تبرى  
في دمي مريحة له وخُفوق  
أين همس الجفون وهي غواف  
طالما هزنى بهن برقى ؟  
أين منى الحديث نجوى شفاء  
تتلطى كما تلتطى الحريق ؟  
أين منى التفاتة ، من معاني السُجُب فيها ، معنى كرم عريق !  
أين منى انشادة تهر العين ؛ وفي النُصْنُ شرها لمرهيق  
أين أيامك التي قد تولت  
يمسح من الحياة نروق ؟

لا تظننى الأيام تغضى بهدى  
ستطول الأيام ، وهو وثيق  
كلنا مررت الليالي عليه  
كان كالنحر زانها التمتع

أشرق تشرق الحياة ، وتصفو  
من دُجَاها ؛ ويستبين الطريق  
فرغت كلبي التي ملائها  
فرحة الأمل هل لديك رحيق ؟  
بين عينيك خرق ؛ فأطلى  
أين منى صبر حشها والقُبوق (١)  
ذبت جنتي ، وأضحت سمحاري  
غاض نبيي بها وجف الورق  
فاخبطرى بينها ترف زهوراً  
في رباض جَدُول مدفوق

صمت الطائر المفرد بالأمس (٢) فإن النشأة والتخليق  
أطلقته في الروض بين الأتقى  
هو بالروض والزهور خليق  
لا تنحيه عن زهورك هذى  
وإذا شئت فسميه يُمنى  
إنه ذلك المنفى للشوق

(١) كناية عن خطوة الغاء صعباً وماء .

من قصص محمد لمؤلفات

## ٢ - نشيد النوم

[ للاستاذ كامل كيلاني ]



## جواب (الرسالة) عن الرسالة:

« صفحة محتارة من المخطوط الجُحَريّ » النفيس الذي  
عُثِرَ عليه ، ولعله مكتوب بخط صاحبه « أبي القُصْن عبد الله  
دُجَيْن بن ثابت » الملقب بجحا أو بخط أحد معاصريه :

\*\*\*

« ... اعتذر « دُجَيْن بن ثابت » لضيفه « أبي شَمْع »  
عن حقارة البيت الذي ضيفه فيه ، ولكن « أبا شمع » قال له :  
« إن القليل الذي يبذله الفقير خير من الكثير الذي يبذله الثني .  
لأن الأول يجود بما يحتاج إليه ولا يستغنى عنه ، على حين يجود  
الآخر بما لا يحس فقدانه ، ولا يالى ضياعه » .

وما زال « دجين » وصاحبه يسفران حتى قضيا من الليل  
أكثره ، ثم بسط الثوم على المدينة جناحيه الكبيرين ، فاستلما  
للرقاد هاتئين ، وقد أنسهما لذة الكرى ما مرّ بهما من  
أحداث الزمن ومصائبه ، ومدهشات الدهر ومجائبه .

\*\*\*

وأعدت « ربابة » حُرماً من قش الثرة لينام عليها صاحب  
الدار وضيغه التي اشتمل رأسه شيئاً فأكسبه ذلك مهابة وجلالا .  
ثم أقامت لوليسها « جَحْوان » و « جُحَيّة » أرجوحة جىء  
بها من بلاد الهند ، كانا يستعملانها في أسفارهما ورحلاتهما ،  
فأسرع الطفلان إليها ليناما فيها .

ولو رأيتهما لخليل إليك لوفرة نشاطهما وصر جسيهما ،  
أنك ترى قردين صغيرين وقد اشتبكت أذرعهما ليتدبعا في  
الأرجوحة الصتيرة حتى تتسع لنومهما .

واستأذنت « زبيدة » جارتها في الذهاب إلى بيتها . ثم جلست  
« ربابة » على خشبة صغيرة أمام الأرجوحة وظلت تهزها في رفق  
وانتظام ، وتغنى طفليها بصوت فيض حناناً وحباً :

ناما - حبيبي - ناما واستقبلا الأحلاما  
نورا وحُسناً وروّضاً مُعَطِّراً بِسَاماً

في عددنا الماضي نشرنا (الرسالة) التي تفضل بتبليغها صديقنا  
الأستاذ العقاد عن بعض إخواننا الأدباء في فلسطين ، وهم - كما  
علمت - يعتبرون على (الرسالة) أنها تفضن على قصائدهم وفصولهم  
بالنشر والتنويه . ومثل هذا الغف طالما تردد على بعض الأفواه  
في سائر البلاد العربية ، وفي مصر نفسها ؛ فالرسالة هناك متهمة  
بإيثار مصر ، وهي هنا متهمة بالإيثار على مصر . وفي التهمتين  
- علم الله - مبانة لوجه الحق ، ومماراة في حقيقة الواقع .  
ولعل الذين يتولون كبرهما من الأدباء هم الذين لم تسد (الرسالة)  
بتسجيل آثارهم لأسباب ليس منها الصلة الشخصية ولا الأثرة  
الإقليمية على أي حال

ولقد كان بحسب (الرسالة) في الاحتجاج لنفسها أن ترجو  
التهمين أن يفتحوا عيونهم على مجلداتها العشرين ليروا أسماء كتاب  
العرب في جميع بلاد العرب مسجلة بالحق فها همها الخافلة ؛ ولكن  
عائب فلسطين القاضل لا يريد أن يرى إلا اسمه ؛ فإذا رأى أسماء :  
النشاشيبي وطوقان وحمدان ورشدان ومخلص ، حبسها من أسماء  
الدلتا أو الصعيد ، وأكرم بها لو كانت !

إن (الرسالة) بشهادة الواقع مجلة الأدب العربي في جميع أقطاره .  
لا تؤثر قاتلاً على قاتل إلا لإجادته ، ولا تنشر مقالا دون مقال  
إلا لجودته . لها مستوى لا تنزل عنه ، ومقياس لا تتسامح فيه .  
وهي لذلك لا تؤمن بتشجيع الضعيف ، ولا تقول بمجامة القوى .  
وفي سبيل هذا المبدأ السليم القويم تعرضت لمكاره الحق ، من جفاء  
الكريم وسفه اللئيم وصف المفتر . و(الرسالة) بعد ذلك تشهد الله  
وتقسم به أنها في مدى حياتها الصحفية لم تقفل أدباً يستاهل  
النشر ، ولا أدبياً يستحق التنويه .

للاستاذ توفيق الحكيم، و(القنبلة الذرية وانعدام الذرة) للدكتور محمد محمود خالي ... فترحب بالزميلة الكريمة، وتوجو لها حسن التوفيق والطراد التقدم

مجلة السوادى :

رخصت وزارة الداخلية لزميلنا الكاتب المعروف الأستاذ محمد السوادى مدير شركة الصحافة المستقلة وناقد البلاغ البرلانى بإصدار مجلة سياسية أسبوعية مصورة باسم (مجلة السوادى) وقد قويت الشركة أن تبدأ بإصدار أول عدد من هذه المجلة في صباح الإثنين ١٥ أكتوبر إن شاء الله وإصدار آخرها (مجلة الخبز) بعد صدور الأولى بوقت قصير .

في قصة «لؤلؤة الحب»

قرأت في (الرسالة) قصة «لؤلؤة الحب» للكاتب الإنكليزى هـ . ج ويلز ترجمة الأستاذ عيسى حليم ؛ فلفت نظرى أن في ترجمة المجلة الأخيرة خطأ غير سياق القصة . فقد جاء فيها :

« وأخيراً ... تكلم مشيراً إلى «لؤلؤة الحب» وقال :  
اهدموها ! ... »

ويضم من ذلك أن الأمير الهندى هجز عن بناء شىء يليق بمظلة التابوت المحتوى على رفاة زوجته . بينما الأصل وترجمته كما يلى :

« وأخيراً ... قال مشيراً إلى التابوت : أزيلوا هذا الشىء ! »  
ومعنى ذلك أن الأمير بعد أن مارس فن البناء ولم بجميع فروعه من هندسة وزخرف طوال السنوات العديدة التى تم فيها بناء «لؤلؤة الحب» ... طنى حبه لؤلؤة الحب على حبه لزوجته ورفاتها البالية ، ورأى أن يقاء التابوت وسط هذا البناء الفخم نشوز لا يقبله النوق السليم ... وشتان ما بين الهاتين .

(الوصل) الدكتور عبد الرهمانى الفاعلى

نصريب :

وقع في الفقرة الأخيرة من مقال العلامة التشائينى المنشور في العدد الماضى خطأن مطبعيان نصحيحهما فيما يأتى :

الضواب

الخطأ

ولو بث

ولو بثت (تقویر)

ولو حذق المربية لأضاف

وحذق المربية لأضاف

تغايَل الوردُ مُحبّاً وتفتح الأكماما  
والطير أنشد لحناً فأبدع الأنفاسا

\*\*\*

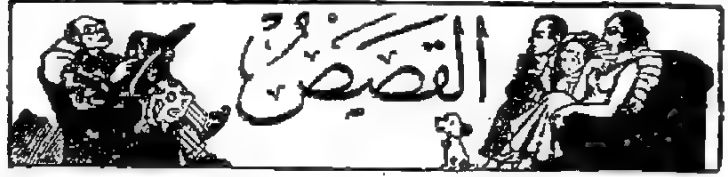
ناما هنيئاً ، وقوما مى إذا الطير قاما  
عينا بأسمد عيش رَغَادَةً (١) وسلاما  
سنتين عشراً ، وزيدا عاما ، وتسعين عاماً  
ونصف عام ، وشهراً ونصف شهر تمام  
وبمده أسبوع تزيد أياماً  
وساعة من نهار ترق قوماً كراماً  
تكلو دقائق عشرا هباءاً رابثاماً  
زادت ثواني نحاً فاغتناها اختصاماً  
وأشيعها ثلاثاً ثوالثاً ، ثم ناما  
وعلى هذه الأغنية الجميلة نام الطفلان ، ثم نامت «زبابة»  
على أرحمها ، ونام كل من فى الدار .  
عبد الله مجا  
(وفى الأصل)  
لامل كيرنى

رابطة الأرباب :

اجتمع أعضاء رابطة الأدياء وتم انتخاب الدكتور إبراهيم ناجى رئيساً ، والأستاذة ديدى فلسطين وكيلاً ، و خليل جرجس خليل بيكرتيراً عاماً ، ومصطفى محمد مصطفى أميناً للصندوق ، والدكتور محمد يسرى أحمد ، وسليمان ندا فضون فى مجلس الإدارة .  
أما حضرات الأدياء الذين اتصلوا بالرئيس من قبل فينبغى أن تخرجها بطلبات الانضمام من جديد إلى سكرتير الرابطة ، ص : ب ٤٦٣ القاهرة .

مجلة اللاتب المصرى

صدر العدد الشهير الأول من مجلة (الكاتب المصرى) التى تصدر عن (دار الكاتب المصرى بالقاهرة) ، ويرأس تحريرها الدكتور طه حسين بك . والعدد متقن التحرير ، مونت الطبع ، متوسط الحجم ، يتبع فى مائة وثمان وعشرين صفحة اشتملت على أربع عشرة مقالة لمفوعة من أعيان الأدب نذكر منها : (الأبيب البرنى بين أمسه وغده) لصاحب المزة رئيس التحرير ، و(تكافؤ النرسة) لصاحب المعادة نجيب الهلالي بلشا ، و(الطلق فى الفن)



من الأدب القصصى الروسى

## في الظلام ...

للأستاذ الروسى أنطون تشكوف

بقلم الأستاذ مطصنى جميل مرسى

—•••••—

الكون غارق فى المكون ... والقضاء المريض ينجح فى رهبة ، وقد مجع كل حى إلى مضجعه يتقلب فى جنونه ... والطير قابعة فى أوكارها تحتضن منارها ... حتى من وكل إليه الأمن قد سرت سنة من النوم إلى نجفونه فراح يغط فى خفقة وسبات .

ولف ظلام السحر كل شئ سوى عكس الصبح الوليد فى الشرق وهو يتجلبب بصفرة شاحبة ... وعلى خين بقاء ولجت ذبابة أنف « جاجن » - مساعد المحصل ... لعل حب الاستطلاع أو زرق الطيش هو الذى دفعها إلى ذلك العمل ، أو لعلها الصدفة المحضة ...

يبد أن خياشم الأنف ساءها ذلك التخيل فانفككت تعطس وتعطس ... فأفاق « جاجن » إيان هذه الموجة الحادة من العطس وقد بلغ من حننها أنها كانت ترجع الفراش رجاً عنيقاً ...

أما زوجة « جاجن » وتدعى « ماريا ميلوفا » - وهى امرأة مفاسدة فارعة حسناء الوجه - فهبت فى هيمة وفرع ، وقلبت طرفها يضرب فى حلقة الظلام الدامسة ، وحملت فينة ثم انطرحت على جانبها الآخر . ولم تلبث بعد فترة وجيزة أن عادت إلى ما كانت عليه ، وأرخت أهدلبها عسى النوم يدب فى عينها ثانية ... ولكن هيهات فقد سرى السهاد إليهما فلم يغمض لها جنين ...

نهضت من فراشها ، واحتنت نعلها وقامت إلى النافذة حيث تجول بنورها فى أكتاف ذلك الليل البهيم ... وقد بدت فيه

سامقات الشجر كأنها عمالقة من الشياطين ... ونذت عن « ماريا » صيحة فيها عجب وفيها فزع قطعت الصمت التى شاع فى تنايا الظلام . كانت تحملق أمامها وقد ثبتت بصرها على شبح يتسلل فى رفق وحذر إلى محن الدار ... فدار بخلفها أنه ربما كان جواداً نافرأ ، ولكن مقلتها ما لبث أن وضح لها ذلك الشبح فإذا به رجل يتشح بالظلام . وأومض بعقلها أنه لص فى سبيل السرقة . فاكنتى وجهها شحوباً أضفاه عليه الذعر ومفرة النفس ...

وفى لحظات نشط ذهنها بصور يبراع الخيال أوهاماً وأوهاماً . قوامها سيدة تمشى فى الريف ، ثم سارق يتلصص خفية إلى حجرة المطبخ ... ومن المطبخ إلى حجرة الطعام ... وتنت الأشياء القضية من ملاعق وقواطع ... ويمدند إلى غدغ النوم وفى يده فأس حيث يعثر على الحلى والنقود ... ولم تلبث أن هوت ركبناها ، وسرت رعدة من أم رأسها إلى أخمص قدميها ...

راحت تهز زوجها وتهتف فى هلع « فاسيا ... باسيل ... انهض ... آه يا إلهى لكأنه فارق الحياة ... استيقظ أيها الرجل باسيل أتوسل إليك ... انهض ... » قبع مساعد المحصل فى فراشه ، وقال فى صوت شابه اضطراب فى قرارة نفسه « حسناً ! » .

— « بالله أفنى ... هناك سارق تسلل إلى المطبخ ، لقد كنت قائمة عند النافذة ، عند ما لمحتة يحنى فى نافذة المطبخ ... إنه بلا رب سيجتازه إلى غرفة الطعام حيث الملاعق فى الصوان .. باسيل ! ألا تدرى أنهم هاجوا « مافرا يجر وقتنا » فى العام الماضى ؟! » — « هه ... ما الذى حدث ؟! » .

— « آه ... يا للمساء . إنه لم يدرك بعد ما أنطق به ... انصت أيها الأبلى ، هناك لص وج نافذة المطبخ ، وسوف ينخلع فتواد « بلاجا » فرعاً وفرعاً ... هذا مع أن الأشياء القضية فى الصوان بفرقة الطعام ... » .

— « هذا حديث لكف ؟! » .

— « باسيل ... لا أطيق ذلك ... أخبرك بالخطر الجاثم ، وأنت تفحفع فى نومك غير ذى بال ؟! ما الذى ترجو من وراء ذلك ؟! أنشاء أن تجرد من أموالنا وحاجياتنا ؟! » .

فأب مساعد المحصل إلى نفسه وقام من فراشه يعلأ صدره بنسيم السحر النعش . ثم تنادى فى تودة ومهل ... وراح يتمم :



مساعد المحصل يتلص طريقه في حنر ... واتخذ وجهته نحو غرفة الأطفال ، وأيقظ الحاضنة قائلاً في محيط :

« لقد أخذت معطى لتنظيفه مما علق به ! . فإين هو ؟ ! »  
يا « قاسيليا » ! » .

« لقد تناولته « بلابجا » لتنظفه ... يا سيدى ! » .

— « يا للبيت ... أنت تأخذينه ثم تردينه ! ... ماذا اطرح على جسدى الآن ؟ ! » .

\*\*\*

وما كاد يصل إلى المطبخ حتى اتخذ سبله إلى ركن قام فيه صندوق من الخشب وقدت عليه الطباخة « بلابجا » ... فقال وهو يتحسس كتفها ، ويهزها في عنف « ... بلابجا ! ... بلابجا ! ... لا تدعى النوم أيها الخبيثة المأكرة ... من التى ولج غرفتك منذ برهة وجيزة ؟ ! » .

— « سى ! سى ! سيدى ! اعم صباحاً : من الذى يجرؤ على ولوج غرفتي ؟ ! » .

— « آه ... دميما من هذا النفاق والإنكار فليس هناك مجال لتصديقهما . انهضى ... لقد أسرى ذلك الشرير إلى غرفتك ، وأنت راضية عن ذلك ! . ألا تسمعين ؟ وليس هناك فائدة يدعو إلى الحضور سوى أنت ! » .

— « هه ! سيدى ... أمستك لونه من الشيطان ، فتتدفق بهذا الهذيان ؟ ! »

رحماك يا رب ... أظننتى بلهاء ساذجة ؟ . أشق هنا سحابة يومى ولا أركن للراحة ولو لحظة ... وتأتى في هزيع الليل فتحدثنى هكذا ! . ولا أقاضى عن كدى وإخلاصى في خدمتك سوى أربع رويلا في الشهر ... إني لأرغب العيش عند تاجر من التجار على أن أقابل بمثل هذا الجحود والإهانة ! » .

— « انهضى ! . انهضى .. لا سبيل إلى التنصل بالشكوى والتذمر ... آه ... لا بد أن يفادر عشيقك هذه الغرفة فوراً ! ... أوعيت ما أقول ؟ ! » .

قالت « بلابجا » وقد هدجت من صوتها بواور الدمع : « لا بد أن هذا يخجلك يا سيدى ! . أهكذا تعملون مبشر المعلمين ؟ ! أسمح لكم أنفسكم أن تهمونوا وتقنوا علينا بدلا من أن ترفهوا منا ، وقرجوا عن أنفسنا ؟ ! نعم من السهل عليكم أن تهينونا ..

— « ليس ثمت من يقف على سريرة تلك المخلوقات الضعيفة المتجنية ... التواء .

سوى الله ! . أما بمقدورك أن تتركى الإنسان ينمض جفنيه جنحاً من الليل لا تزالين تهزينه حتى يستيقظ ، فتطرقى سمه بهذا اللغوا ! » .

— « ولكن أقم يا باسيل أنى لمته وهو يداف إلى حجرة المطبخ ! » .

— « وما الذى يثير عجبك من ذلك ؟ ! إنه بلا شك الجندى الذى يمشى « بلابجا » وتشفه ... ويرى إليها على الدوام في هزيع الليل ... » .

— « هه ! ... ما الذى تقوم به ؟ ! » .

— « ... إنه الجندى الذى يمشى « بلابجا » ... فصاحت « ماريا ميلوفنا » في زحير .

« علة أقبح من المذر ... إن التلصص أخف وطأة منها ... لست أَرْضى عن هذا الفاسق بدارى ... » .

— « عجبا ... إننا طهيرا الثوب عفتنا ... فما الذى يضيرنا من وجود هذين الفاسقين ؟ ! وماذا تفيد من تدوم هذه الكلمات الجوفاء ؟ ! فأتانى إنها الحياة ... وهكذا جبل الخلق منذ فطر العالم وما هذا الجندى بملك يصف عما درج عليه غيره ... » .

— « كلا يا باسيل ... فهذا ما لا يتفق وهوأى ... إني لا أجاد أنصور أن مثل هذا ! . هذا ! . يحدث في عقر دارى ...

يفنى عليك أن تهتم إلى المطبخ ، وتطرد هذا الفاسق شر طردة وفي النداء سأتعى إلى « بلابجا » أنها ستفقد عملها إن هى طادت فسلكت هذا السبيل الشائن ، وحين أغادرك إلى ظلمة القبر وأودع الحياة ... فاقص ما يعمل لك ... ولكن إياك أن تأتى ذلك ، وأنا على قيد الحياة ... باسيل ! أتومل إليك أن تقوم إليهما ... » ، فقال « جاجن » في نهم وتذمر :

« عليك لمة الله ... بالله تدرى بمنظارك النساء الضعيف : ما الذى أنمله لها ؟ ! » .

— « باسيل ! . إني لأحس أن الإغماء يفشئنى ... » .  
فمجل « جاجن » بوضع قدميه في تلميه ... وراح يهرم لعناته في سبيله إلى المطبخ ...

وكان الظلام يطوى كل شيء تحت مطارقه السود ... فراح

لقد دأب الأرق جفونه فميتاً يحاول النوم ثانية ... فقال  
وهو يضحك :

إنك لواهمة ، مجعدة الأعصاب ... ويموز نفسك المضطربة  
فترة من الراحة ... يحمل بك أن تنهي في النداء إلى الطبيب  
فتخبره بهذه الأوهام والخيالات ... فيتبصر في حالتك ويصف  
لك ما يريح أعصابك المكدودة ...  
فقاطعته زوجه قائلة :

— « ما هذا ! ! رائحة ... قطران ! ! أو شيء آخر كالنوم  
أو البصل إن هذا يتخلل أتي في حدة ... » .

— « نعم ! ثمة رائحة غريبة ... لست بنائم ... سأشعل  
الشمعة ، أين أعواد الكبريت ... آه تذكرت ، سأعرض عليك  
صورة لمحصل تمر « جستيل » العظيم ... فقد أعطى كل من كان  
في المكتب نسخة من صورته عندما دعنا البارحة ... » .

أشعل « جاجن » الشمعة وقبل أن يخطو خطوة لإحضار  
الصورة رنت في أذنه صرخة نذرت عن زوجته ... فلما التفت  
إليها رآها تحملق فيه وقد اتسعت مقلتاها واستقرت عليه ...  
يطل منهما النزع والملع والمجب والسخط في آن واحد ...  
صاحت زوجته وقد علا وجهها الشحوب : « أتناولت  
معطئك من المطبخ ؟ ! » .

— « لم ؟ ! » .  
— « انظر إلى نفسك ! » .

وما كاد يبصر « جاجن » ما على جمده حتى راح يحلق في  
عجب وذهول ... لم يكن مطروحاً على كتفه معطفه بل معطف  
الجندي الشرير ... ماذا أتى به إلى هنا ! ! وبينما كان يوجه إلى  
نفسه هذا السؤال ... قالت زوجته في غمضة نعت عن سخرية وسخط  
« أقول ؟ ! إن ( بلاجا لا تقل عن عفاقاً وصوتاً ) ... أيها الخنزير الأبله »  
ثم غرقت في شهاب الفكر وعاد يراعي الخيال يرسم صورة مخيفة :  
ظلام ... هدوء ... همس ! ! و ! !

مصطفى جميل مرسى

( ملطاً )

استدراك :

حدث خطأ مطبعي في عنوان قصتنا التي نشرت في العدد ( ٦٣٨ )  
وهو « حينما كان طيباً » والأصل « حينما كان سيئاً » فبذلك  
يستقيم معنى العنوان مع سياق القصة .

فليس هناك من يتبرى لنصرتنا ويقف إلى جانبنا » . وانفجرت  
اللعوم من عينيها فراحته تنوح وتنهه ...

— « هيا ... انهضى ... فامحوز على هذا الخداع ... لقد  
أرسلتني سيدتك لأخبرك أنها رأت شيراً يذلف إلى غرفتك ! »  
ولكن « بلاجا » راحت تديم نواحيها وتشيجها ... فلم يجد  
« جاجن » بدا من أن يعترف من قرارة نفسه أنها مظلومة طاهرة  
وقد ألحق بها هذه الهممة الشنماء إفاكاً وبهتاناً ...

وهم بالعودة إلى زوجته وهو يقول : « بلاجا ... لقد أخبرتني  
« فاسيليا » أنها تناولت معطئي لتنظيفه مما علق به فأين وضعته ؟ ! »  
— « آه ... معذرة يا سيدي ... لقد غفلت عن وضعه على  
مقعديك ... إنه معلق هناك على المشجب القريب من الموقد ! » .  
فطرحة « جاجن » على منكبيه ، ومضى في هدوء إلى غرفة  
زوجه ...

\*\*\*

أما « ماريلا ميلوفنا » ، فلبثت تنتظر بملها في قلق وهي تهرس  
وتهيجس :

— لقد مضى منذ حين ولم يؤب ! لعل ذلك الجندي الشرير  
ليط به الأرض ... لعل ... لعل ...

وعادت تصور يراعي الخيال صورة لزوجها ، وهو يمضي في  
ظلام المطبخ ... ضربة على أم رأسه من فأس ... موت بلا نيس ،  
ودم يتدفق من جروح متخنة ... وانقضت إثر ذلك خمس دقائق  
في إثرها خمس ... ثم نصف ساعة ... وأخيراً ها هي ذى الساعة قد  
بلغت السادسة ودقاتها ترن في جوف الليل البهيم فترده رهبة  
وجلالاً ... فتبيلل بجبينها برق بارد وهي غارقة في فراشها ،  
وصاحت على غرة : « باسيل ... باسيل ... فأجابها صوت زوجها  
على مقربة : « ما ذا دهاك ؟ ! لم تصرخين هكذا ؟ ها أنذا ... »  
— ألسابك سوء ؟ !

— سوء ؟ كلا ...

ومضى إلى حافة الفراش وهو يقول :

— « ليس هناك أحد على الإطلاق ! إنها أوهامك وقسوتك  
على هاتبة المخلوقات ... إن بلاجا لا تقل منك عفاقاً وصوتاً ... كم  
أنت حقاً ! كم أنت ... » .  
وراح ذلك السيل من السباب واللعن يتدفق من فم « جاجن »

حالياً  
ستوديو مصر يقدم بلبل الشرق  
الموسيقار فريد الأطرش  
مع  
مراجعة بسري ، محمد البطار ، أمينة نور الدين  
ونخبة من أمراء الفكاهة في مصر  
في أعظم الأوبروم الفنايية الفطاهية  
شهر العسل  
من أول أكتوبر  
٤ مقفوت بوبياً  
بسينما ستوديو مصر بالقاهرة ورغنى باسكندرية

محكمة المزة الأهلية

إعلان بيع في القضية المدنية نمرة ٥٢٤ سنة ١٩٣٥

إنه في يوم الأحد ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨  
أفرنجي صباحاً وما بعدها بسراى المحكمة : سيصير إشهار مزاد  
العقار الآتى بيانه بمد الملوكة إلى حسين حسن عزام من المطرية  
مركز المزة دقهلية .

وهذا البيع كطلب بمصلحة الأملاك الأميرية وبناء على حكم  
تزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١١ يونية سنة  
١٩٤٤ ومسجل بمحكمة النصورة في ١٧-٦-١٩٤٤ ن ٣٣٤  
جزء ٣٣ وقاء لسداد مبلغ ١١٦ جنيه ١٤٧ مليم ضمن أساسى  
قدره ٩١ جنيه ٦١٤ مليم خلاف للمصاريف .

بيان المقار

	س	ط	ف
قطعة ضمن ١ حوض ن ٢١	٢٣	٠	١
« « ١١ « ٢٤	٨	٠٠	٣
« ضمن ٢٧	١	٤	١
قطعة ضمن ٢٦ « بحوض ن ٢١،٤	١٩	١١	٠٠
قطعة ضمن ن ١٠ « ن ٥ و ٢١	٢٠	١٩	١
« « ن ٦ « ن ٢٣٦	٠٠	٠٠	١
« ن ٩ « ٢٧ و ٢٢	١٢	٩	٢
مكلفه ضمن ١ بحوض ن ٨ و ن ٢٢	١٠	١٩	٣
قطر أربعة عشر قدانا وسبعة عشر	٢١	١٧	١٤
قيراطاً وواحد وعشرون سهماً بزام الصلاطات مركز دكرنس .			
فعلى من يرغب الشراء الحضور في الزمان والمكان المحددين أعلاه			

ظهر حديثا كتاب :

# رفع عن السدود

للاستاذ

أحمد الزين

وقد زينت عليه فصول لم تشر

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن الكاتب الشهيرة ونحوه ١٥ قرشا

## سكك حديد الحكومة المصرية

### تسير عربية ديزل بين القاهرة والمنصورة

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٥ تسير عربية ديزل علاوة (دوجة أولى وثانية) بين القاهرة والمنصورة وتقف بالزقازيق فقط كالآتي بعد :-

- ١ - يغادر الدور رقم ٩٤٣ القاهرة في الساعة ١٥ ١٧ ويصل إلى المنصورة في الساعة ٤٠ ١٩
- ٢ - يغادر الدور رقم ٩٣٦ المنصورة في الساعة ٤٥ ٧ ويصل إلى القاهرة في الساعة ١٠ ١٠ وذلك وفقاً للمواعيد الآتية :-

٩٣٦	المحطات	٩٤٣	المحطات
عربة ديزل درجة ١ و ٢		عربة ديزل درجة ١ و ٢	
٧ ٤٥	المنصورة - قيام	١٧ ١٥	مصر .. .. قيام
٨ ٥٠	الزقازيق .. .. وصول	١٨ ٣٠	الزقازيق .. .. وصول
٨ ٥٥	قيام .. .. قيام	١٨ ٣٥	المنصورة .. .. قيام
١٠ ١٠	مصر .. .. وصول	١٩ ٤٠	المنصورة .. .. وصول